الدكتور المحجوب بن سعيد



الإسلام و الإعلاموفوبيا

الإعلام الغربي والإسلام: تشويه وتخويف

بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإسلام والإعلاموفوبيا
الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف

الإسلام والإعلاموفوبيا :الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف /المحجوب بن سعيد -.دمشق :دار الفكر ٢٠١٠ .
-١٧٦ ص ؛ ٢٥ سم.

1- 218.87 ب ن س أ 2- 218.5 ب ن س إ
٣- العنوان ٤- بن سعيد
مكتبة الأسد

أسم الملف: Edaa2010.doc

الدليل: C:\Documents and settings\Khaled2\My Documents

القالب: C:\Documents and settings\Khaled2\Application Data\Microsoft\Templates\Normal.dotm

العنوان : Default Normal Template

الموضوع :

الكاتب: Khaled

الكلمات الأساسية:

تعليقات:

تاريخ الإنشاء: 2009/11/23 02:52:00م

رقم التغير: 79

الحفظ الأخير بتاريخ: 2010/04/20 10: 58: 00 ص

الحفظ الأخير بقلم: XP sp2-Dodo

زمن التحرير الإجمالي: 576 دقائق

الطباعة الأخيرة: 2010/04/21 10: 41: 00 ص

منذ أخر طباعة كاملة

عدد الصفحات: 29 (تقريباً)

عدد الكلمات: 20 (تقريباً)

عدد الأحرف: 119 (تقريباً)

الدكتور المحجوب بن سعيد

الإسلام والإعلاموفوبيا
الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف





الإسلام والإعلاموفوبيا

الإعلام الغربي والإسلام: تشويه وتخويف

الدكتور المحجوب بن سعيد

الرقم الاصطلاحي: 2233.011

الرقم الموضوعي: 320 (العلوم والدراسات السياسية)

110 ص، 17 × 25 سم

الطبعة الأولى : 1434هـ= 2013م

المحتوى



مقدمة

تتعرض صورة العالم الإسلامي لكثير من التشويه والتحريـف والتضـليل في أغلب وسائل الإعلام الغربية، التي تروج صوراً نمطية عن الإسلام والمسلمين تثير الشك والريبة والخوف، وتخلـق أسـباب النفـور مـن كـل مـا لـه صـلة بالـدين الإسلامي.

ويواجه الإسـلام اليـوم جملـة مـن التحـديات تختلـف عـن كـل الأشـكال الأخرى من التحديات التي عرضت لـه في تاريخـه؛ فهـي تضـع المسـلمين أمـام اختيار عسير يمس هويتهم وصورتهم ومكانتهم بـين الأمـم، ويهـدد مسـتقبلهم ويعوق تحقيق أهداف رسالة دينهم ذات الأبعاد الكونية والحضارية.

ومن بين أخطر هذه التحديات انتشار ظـاهرة التشـويه الإعلامـي لصـورة الإسلام والمسلمين في العديد من وسائل الإعلام الغربيـة، مـما أدى إلى تحريـف الحقائق وتضليل الرأي العام الغربي وتأليبه ضـد المسـلمين في كـل مكـان، بمـن فيهم المسلمون الذين يعيشون في المجتمعات الغربية، والمسلمون الـذين هـم من الأبناء الأصليين لهذه المجتمعات.

إن محاولة رصد الملامح العامـة لصـورة الإسـلام في الـوعي الثقـافي الغـربي تتسم إجمالاً بالضبابية والارتباك؛ إذ إن غشاء سميكاً من الأحكام القَبْلية يحول دون إدراك حقيقة الإسلام وجوهره ومقاصده النبيلة.

ولذلك تنامى الوعي على صعيد العالم الإسلامي بضرورة النظر إلى مسـألة الصورة المشوهة للإسلام في الإعلام الغربي بجدية تامـة، وعـدم اعتبارهـا قضـية هامشية لا قيمة لها.

وتبلور هذا الاهتمام على صعيد المنظمات الإقليمية كمنظمة المؤتمر الإسلامي، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، إذ تم تخصيص العديد من الندوات والدراسات لتسليط الضوء على خصائص ظاهرة التشويه الإعلامي الغربي للإسلام والمسلمين والبحث عن سبل مواجهته، كما نبه كثير من الباحثين والمتخصصين في العالمين الإسلامي والغربي إلى خطورة هذه الظاهرة، وتأثيراتها السلبية في العقل الغربي وسلوك المواطنين في المجتمعات الغربية ومواقفهم، وفي الأمن والسلم والتعايش بين شعوب العالم.

ومن خلال استيعاب مختلف القضايا والموضوعات التي انصبت عليها حملات التشويه الإعلامي الغربي للإسلام وحضارته، ومن منطلق الوعي بطبيعة المهام الملقاة على عاتق الجهات المسؤولة عن الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام وللحضارة الإسلامية، فإن (الإطار العام لبرنامج الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام وللحضارة الإسلامية) الذي أعدته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، وصادق عليه المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة (الجزائر، كانون الأول/ ديسمبر 2004م) حدد مجالات العمل التي ينبغي أن تتوجه إليها الجهود وتفرغ فيها الطاقات. ويتعلق الأمر بالمجال الإعلامي، والمجال الثقافي، والمجال التربوي، ومجال الدعوة الإسلامية، والمجال العلمي، والمجال الأكاديمي.

ويندرج هذا الكتاب في المجال الأكاديمي الذي لا يقل أهمية عن غيره من المجالات ذات الصلة بتنفيذ برنامج الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام ولحضارته. فإذا وضعنا في الاعتبار أن الصور النمطية المسيئة للإسلام ازدادت انتشاراً على الصعيد العالمي بواسطة وسائل الإعلام المختلفة، فقد أكد برنامج الرد على حملات التشويه الإعلامي

للإسلام وللحضارة الإسلامية أهميةَ إنجاز دراسات تحليلية حول ما تنشره وسائل الإعلام الغربية من مغالطات حول الإسلام وحضارته وضرورتَها، سواء من طرف الباحثين في إطار الجامعات والمعاهد المتخصصة، أو من طرف المؤسسات العلمية في إطار مراكز للبحث تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات المتخصصة المتفرعة عنها.

إن صنع الصور النمطية المسيئة إلى الإسلام والمسلمين وترسيخها في العقل الغربي ظاهرة قديمة ومتجددة. ويمكن القول بأن الإسلام كان - ولا يزال - أكثر الأديان تعرضاً للإساءة في الغرب، كما أن المسلمين هم أكثر شعوب الأرض حظاً من التشويه والتجريح في المجتمعات الغربية.

ويدلنا الرصد التاريخي لتطور تلك الظاهرة على أن ساسة الغرب وقادة الرأي فيه كانوا ينظرون دائماً إلى الإسلام باعتباره يمثل تهديداً لهم. فاللاهوتيون في العصور الوسطى كانوا قلقين مما أسموه بتأثير القيم الإسلامية في القيم المسيحية تأثيراً تدميرياً، ولذلك رأى هؤلاء أن حماية المسيحية من الإسلام لا تكون إلا بضربه عسكرياً، والاستيلاء على أرضه وإقناع معتنقيه باتخاذ المسيحية ديناً. وقد كان هدف الحملات العسكرية الصليبية في المرحلة التالية مواجهة ما أسموه (التهديد الإسلامي) قبل أن يغزو ديار الغرب.

ولم يختلف موقف الغربيين من الإسلام في حقبة الاستعمار مع مطلع القرن العشرين عن مواقفهم في الحقب السابقة. لقد كانت حركة الاستشراق في مجملها أداة من أدوات مواجهة التهديد الإسلامي المزعوم. فقد كان المطلوب من هذه الحركة استكشاف معالم العقلية الإسلامية وفهمها فهماً جيداً لتسهيل عملية استعمار الشعوب الإسلامية، واستغلال خيرات البلاد الإسلامية.

وفي المرحلة المعاصرة، تتسق نظرة الغربيين إلى الإسلام مع تلك

المنظومة من الرؤى المعادية التي ورثها العقل الغربي من التراكمات التاريخية التي حفل بها تاريخه الكنيسي (نسبة إلى الكنيسة) الصليبي والاستشراقي الاستعماري. فالإسلام يمثل تهديداً للغرب كما هو واضح من نظرية زبجنيو برجنسكي عن (هلال الأزمات)، مروراً بنظرية برنارد لويس عن (عودة الإسلام)، وانتهاء بنظرية صامويل هنتنغتون عن (صدام الحضارات).

إن نهضة الإسلام بالنسبة إلى هؤلاء جميعاً تعني نهاية الحضارة الغربية، لا باعتبار الإسلام مجرد منافس إيديولوجي فحسب؛ بل لأنه أيضاً يمثل تحدياً حضارياً بالغ الخطورة. لذلك فإن العالم الإسلامي والمسلمين اليوم ليسوا إزاء حالة عداء غربي محدود النطاق والتأثير، إن الواقع المعاصر يشهد ما أسماه الباحث البريطاني فرد هاليداي ظاهرة (معاداة الإسلام) إذ يرى أن الاتجاه المعادي للإسلام وللمسلمين أخذ يتسع في العالم، وليس في الغرب وحده، مع أواخر الثمانينيات من القرن العشرين نتيجة لعدد من العوامل؛ منها انتهاء الحرب الباردة، وذيوع فكرة حلول الإسلام عدواً للغرب عوضاً عن الشيوعية التي أفل نجمها بانهيار الاتحاد السوفييتي، ثم أخيراً صعود التيار اليميني المتطرف في أوربة والولايات المتحدة الأمريكية.

في هذا السياق يرى المفكر المغربي محمد عابد الجابري أن الحملة على الإسلام هي عملية من قبيل (كل سلب تعين)، بمعنى أن الغرب لم يعد قادراً على التعرف على نفسه، بعد انهيار خصمه الشيوعية، إلا من خلال تنصيب الإسلام (آخرَ) جديداً، بل هو يصنعه صنعاً ليضمنه جميع أنواع السلب أو النفي التي تمكنه من تحديد هويته هو (أي الغرب) إيجابياً. وهكذا يصبح الإسلام وعاء لكل ما لا يرغب فيه الغرب ولكل ما يخاف منه.

استناداً إلى هذا التحليل يمكن القول بأن بناء الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين مرتبط بتراكمات تاريخية، ذات صلة بالحروب الصليبية وبحركة الاستشراق والحملات الاستعمارية. كما أنها إفراز لعقل أوربي لا يعرف الإثبات إلا من خلال النفي، ومن ثمَّ لا يعرف (الأنا) إلا من خلال (الآخر).

من هنا يمكن للباحث السيكولوجي في رأي د. عابد الجابري "أن يلتمس لخطاب الخوف من الإسلام من وسائل الإعلام الغربية دوافع دفينة في الرغبات التي لا يريد الخطاب الغربي التعبير عنها صراحة، والتي تنبع من حاجات أشبه بالحاجات البيولوجية بالنسبة إلى اللاشعور الفردي. مثل الحاجة إلى البترول والرغبة في استمرار الهيمنة عليه، والحاجة إلى المهاجرين المتناقضة مع الرغبة في التخلص منهم تحت ضغط هواجس اقتصادية أو عنصرية، والحاجة إلى بقاء العالم الإسلامي قائماً كـ(آخر) لابد منه، والرغبة في أن يظل مشتتاً ومتخلفاً تابعاً"[1].

إن عودة الإسلام إلى مسرح الأحداث من خلال (الصحوة الإسلامية) تشكل نقطة بداية إعادة تفعيل خطاب يخيف من الإسلام، يقوم بإنتاجه (خبراء الإسلام) في الغرب، وتتولى وسائل الإعلام الترويج له وتقديمه وفق نموذج نمطي، تتكثف فيه وحدات ذهنية ضاربة في القدم، تشكلت مع الخطاب الكنسي حول الإسلام في القرون الوسطى[2].

---

[1] د. محمد عابد الجابري: مسألة الهوية (العروبة والإسلام والغرب)، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م.

[2] د. صادق رابح: في مصادر الرؤية الإعلامية الفرنسية للإسلام. ورقة مقدمة للندوة العلمية التي عقدتها الإيسيسكو في حلب، تشرين الثاني/ نوفمبر 2006م، حول موضوع: دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام في العالم، ومعالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) .

وتعد فرنسة، التي اخترنا صحافتها المكتوبة عينة للدراسة المضمنة في الفصل الثاني من هذا الكتاب، من أهم الدول الأوربية التي تتجسد فيها تناقضات العقل الأوربي إزاء الإسلام، وتتبلور فيها بجلاء التفاعلات والارتباطات القوية والمستمرة لسيرورة الرؤية الغربية للإسلام ومختلف مراحل بناء الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين.

إن الرؤية الفرنسية للإسلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإشكالية الحوار الإسلامي في الغرب التي تتصل بإشكالية كبرى هي إشكالية المغايرة أو الآخرية (نسبة إلى الآخر). فالمغايرة مفهوم حاضر في كل الثقافات وقائم على أساس ثنائية الاختلاف بين الأنا والآخر. وعلى هذا الأساس فإن الرؤية الفرنسية للإسلام هي محصلة تراكمات تاريخية غذتها - ولا زالت - مجموعة من المواقف القَبْلية الجاهزة والقوالب المشوهة، مما جعل مقاربة الإسلام في فرنسة تراوح مكانها، بل إنها تتنافس مع المقاربة اللاهوتية في لغتها ومحتوياتها. كما أن الرؤية الفرنسية للإسلام هي حصيلة مجموعة من العناصر المتداخلة والمتشابكة أهمها عنصران: التراكمات السلبية حول الإسلام داخل الفضاء التاريخي الغربي، وبعض الممارسات السائدة داخل الفضاء الإسلامي[1].

ويرى الباحث صادق رابح أن الرؤية الفرنسية للإسلام تستند إلى أربعة مكونات أساسية هي:

أ- **الخطاب القروسطي**[*]: وهو ذو طبيعة دينية إقصائية، من إنتاج المؤسسة الدينية وعلى رأسها البابا، ذلك أن الكنيسة ظلت تُظهر الإسلام والمسلمين بمظهر الكارثة الطبيعية المدمرة.

---

[1] د. صادق رابح: المرجع السابق، 7 .

[*] نسبة إلى القرون الوسطى.

ب- **الخطاب التنويري**: وتجسده فلسفة الأنوار التـي تمثـل أحـد أهـم الأركـان المؤسسـة للفكـر الغـربي المعـاصر ومرجعيـة يعتـز بهـا الفرنسـيون. هـذه الفلسفة، كما هو معلوم، ظلت حبيسة رؤية توفيقية براغماتية تجمـع بـين مدح الإسلام وذمه، والإعجاب به واستهجانه، والانبهار بـه والسـخرية منـه. وقد تجسد ذلك في مواقف فولتير (Voltaire) الذي أقر بأن الإسلام لم ينتشر بواسطة السيف، لكنه في الوقت نفسه يعدّ الرسول ﷺ (متمـرداً) و(خائنـاً) و(مجرماً).

ج- **الخطاب الاستشراقي**: ويمثل الرؤية الأكاديمية العلمية للإسلام، وهو بمنزلـة تعبير فوقي يكشف عقلية أصحابه أكثر من التعبير عـن حقيقـة موضـوعه. وقـد نفـى إدوارد سـعيد في كتابـه المشـهور (الاسـتشراق) الطـابع العلمـي للكتابات الاستشراقية التي تـرى العـرب والمسـلمين متخلفـين ذهنيـاً، وغـير متحضرين وخاملين تتحكم بهم عيوب فطرية تمنعهم من التطلـع، وتجعـل حركيتهم مراوحة في المكان نفسه. ولذلك عـدَّ إدوارد سـعيد أن الاسـتشراق ليس إخفاقاً علمياً فقط، ولكنه إخفاق إنساني أيضاً.

د-**خطاب الكتاب المدرسي**: ويعدُّ أحد أهم مصـادر الرؤيـة الفرنسـية للإسـلام. فصورة المسلمين، وخاصة العرب، في الكتب المدرسية الفرنسية، هي امتـداد للصورة التاريخية التراكمية السلبية لهذا الدين وحضـارته وأتباعـه. كـما أن هذه الكتب حافلة بمصطلحات تحمل أحكاماً قيمية خطـيرة بشـأن الإسـلام والمسلمين؛ كالتطرف وعدم التسامح والتواكل والعنف والقمع.

لقد وضعت الصحافة الفرنسـية عـلى عـاتق المسـلمين الأزمـة الاقتصـادية برمتهـا، والبطالـة واخـتلال الأمـن والعمليـات الإرهابيـة، وأصـبح النـاخبون الفرنسـيون، في مواقـع عـدة يصـوتون لأكـثر المرشـحين عدوانيـة ضـد الإسـلام

والمسلمين. كما أن المجلات الفرنسية التي تخصص أعداداً تدور محاورها حول الإسلام ترتفع معدلات مبيعاتها 15%، ومن بين هذه المجلات مجلتا الإكسبريس (L'Express)، ولونوفيل أوبسرفاتور (Le Nouvel Observateur).

إن صناعة صورة الإسلام في الإعلام الفرنسي، بالإضافة إلى ارتباطها وتأثرها بالتراكمات التاريخية ذات الصلة بالحروب الصليبية، والدراسات الاستشراقية، والأفكار النمطية المضمنة في الكتب والمقررات الدراسية، وتداعيات الحقبة الاستعمارية الإمبريالية لأجزاء من العالم الإسلامي (دول المغرب العربي خصوصاً)، فإن هذه الصناعة، حسب الباحث الفرنسي توماس ديلتومب في مؤلف له تحت عنوان (الإسلام الفرنسي المتخيل)[1] ، عرفت محطات ساهمت بخصوصياتها في عملية تطور بناء صورة الإسلام في الإعلام الفرنسي المرئي والمسموع والمكتوب. وقد خلص توماس ديلتومب إلى أن الصورة التي رسخت في العقل الفرنسي عن الإسلام والمسلمين ليست هي الصورة الحقيقية، وإنما الصورة التي أراد الإعلام أن يرسخها في أذهان الجمهور الفرنسي.

لقد مرت صناعة صورة الإسلام في الإعلام الفرنسي بثلاث محطات رئيسة، يمكن تلخيصها على النحو التالي:

أ- مرحلة الأحداث المهمة بالنسبة إلى الإعلام الفرنسي، وتتحدد هذه المرحلة زمنياً خلال السنوات (1978-1989م). لقد كان الإسلام

[1] Thomas DELTOMBE: l'Islam Imaginaire, la Construction Médiatique de l'Islamophobie en France, 1975-2005, Ed, la découverte, Paris, 2005.
يعد هذا الكتاب الأول من نوعه في المكتبة الفرنسية حول صورة الإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية طيلة ثلاثين عاماً تتبع خلالها المؤلف أهم المحطات التي طبعت نسج هذه الصورة في وسائل الإعلام الفرنسية وتطورها وبناءها .

حتى بداية عقد السبعينيات من القرن العشرين بالنسبة إلى الرأي العام الفرنسي ديناً (غريباً)، لكن منذ الثورة الإيرانية عام 1979م أصبح الإسلام موضوعاً للنقاشات العائلية بفعل تغطية إعلامية مكثفة لحدث الثورة الإيرانية التي كان قائدها الإمام الخميني منفياً في الديار الفرنسية. كما تعدُّ هذه المرحلة فاصلاً عما قبلها في تصور الفرنسيين للإسلام؛ إذ كان الإسلام من قبل مرتبطاً بمجموعة من التصورات والرؤى النمطية الجاهزة التي رسخها المستشرقون عن الشرق، بوصفه مجالاً جغرافياً وثقافياً يسود فيه الدين الإسلامي ويوجد فيه مسلمون "غارقون في التخلف والجهل، ومولعون بتعدد الزوجات، وتواقون إلى الجهاد ضد المسيحيين الكفار". لقد بدأت ملامح صورة أخرى عن الإسلام تتبلور خصوصاً، وقد تزامنت هذه المرحلة مع بروز ظاهرة الهجرة من بلدان المغرب العربي، إذ أولى الإعلام الفرنسي اهتماماً بالغاً للمهاجرين المغاربيين، وجعل الفرنسيين ينظرون إليهم على أنهم تهديد للمجتمع الفرنسي بسبب ديانتهم الإسلامية. ويؤكد توماس ديلتومب في كتابه المذكور سلفاً أن "الفرنسيين اكتشفوا هويتهم الخاصة والمتميزة ليس بالنظر إلى تاريخهم، بل بالنظر إلى المهاجرين الآخرين القادمين من بلدان العالم العربي"، فقضية الهجرة فتحت نقاشاً عاماً حول الهوية الفرنسية والطابع المسيحي لها، ولا سيما بعدما ظهرت قضية إدماج المهاجرين في المجتمع الفرنسي.

إلى جانب ذلك ركز الإعلام الفرنسي خلال هذه المرحلة على قضايا أخرى تتعلق بالإسلام والمسلمين والغرب؛ مثل الحرية في المجتمعات الغربية مقابل الاستبداد في العالم الإسلامي، وحرية المرأة في فرنسة مقابل خضوع المرأة المسلمة لزوجها في المجتمعات الإسلامية، والحداثة مقابل التخلف، والديمقراطية مقابل سيطرة التقاليد الدينية.

ومن الأحداث المهمة ذات الصلة بالإسلام والمسلمين المميزة لهذه المرحلة نذكر على سبيل المثال قضية الكاتب البريطاني من أصل هندي سلمان رشدي، صاحب كتاب (آيات شيطانية)، وقضية الحجاب في المدارس الفرنسية.

ب- مرحلة ضبط الأقليات والجاليات المسلمة في فرنسة التي تمتد من سنة 1990 إلى 2000 م. وخلال هذه المرحلة تراجعت صورة إيران بوصفها ممثلاً للإسلام لتحل محلها صورة العراق والرئيس الراحل صدام حسين في أثناء غزو الكويت، والجزائر بمناسبة ظهور الجبهة الإسلامية للإنقاذ. في هذا السياق أصبح الإسلام يجسد في الذهنية الفرنسية ووسائل الإعلام العدو المضاد للغرب.

ج- وفي بداية التسعينيات من القرن العشرين عادت قضية الهجرة لتحتل الواجهة الإعلامية، لكن بشكل مختلف عن المرحلة السابقة؛ إذ تداولت المنابر الإعلامية الفرنسية مصطلح (انتفاضة الضواحي) لتوصيف حالة المهاجرين المسلمين القادمين من دول المغرب العربي، الذين قاموا بمظاهرات عنيفة واشتباكات دموية مع رجال الشرطة احتجاجاً على انعدام شروط الحياة الكريمة في أحيائهم الهامشية في باريس وليون ومارسيلية. فصار الإعلام الفرنسي يسلط الضوء أكثر على هذه الأحياء واصفاً إياها بـ (الغيتوهات) و(المناطق الخارجة عن القانون).

د- مرحلة ما بعد تفجيرات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001م وتمتد إلى 2005م. لقد أفرزت أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م في نيويورك وواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية تداعيات خطيرة على المسلمين في فرنسة، حيث استفحلت ظاهرة الحقد والكراهية والاستفزاز ضدهم أكانوا أفراداً أم مؤسسات دينية (المساجد، المقابر)، وكذلك التضييق على نشاطهم الثقافي والاجتماعي والدعوي.

ومنذ تفجيرات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر دخل الفرنسيون مرحلة جديدة في التعاطي مع الإسلام والمسلمين، فقد أصبح الحديث الرائج عبر وسائل الإعلام هو المؤامرة التي تستهدف أبناء الجاليات المسلمة في فرنسة من طرف تنظيم القاعدة، مما أدى إلى سيطرة العقلية الأمنية داخل الدولة الفرنسية في تعاملها مع المسلمين، فأصبحت المساجد والخطب ولقاءات المسلمين وجمعياتهم خاضعة لرقابة شديدة من طرف وزارة الداخلية ورجال المخابرات. وفي هذا السياق أقدمت الحكومة الفرنسية في كانون الأول/ ديسمبر 2002م على إنشاء المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، وبذلك انطلقت مرحلة جديدة في تاريخ الجاليات والأقليات المسلمة في فرنسة؛ إذ أصبح ينظر إليهم على أنهم (مسلمو فرنسة) وليس (المسلمون في فرنسة). ومما لا شك فيه أن الغاية من وراء ذلك كانت هي احتواء العمل الإسلامي في فرنسة من منظور أمني صرف.

إن ما يميز مرحلة ما بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م الانتشار الواسع لثقافة (الخوف من الإسلام)، أو ما اصطلح عليه بالإسلاموفوبيا، مما زاد في تعميق الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين ترويجها بواسطة أحدث تقنيات الإعلام والاتصال من فضائيات وصحف ومجلات وإنترنيت ووسائط متعددة.

وفي مجال الإعلام المكتوب، ساهمت الصحافة الفرنسية (المجلات والجرائد) بدور فاعل في صناعة صورة الإسلام في الإعلام الفرنسي؛ حيث ركزت الصحافة اليومية والأسبوعية على تناول مواضيع ذات صلة بالإسلام والمسلمين بنوع من الإثارة والجاذبية والتشويه والتحريف والافتراء. ومن المجلات الفرنسية التي خصصت أعداداً كثيرة في هذا الشأن:

(la Croix) و(l'Express) و(le Nouvel observateur) و(le Point).

إن المتابعة الدقيقة للكتابات الصحفية حول الإسلام والمسلمين المنشورة في الصحافة الفرنسية خلال المدة (2001-2005م) جعلت الباحث الفرنسي توماس ديلتومب في كتابه (الإسلام الفرنسي المتخيل)[1] ، يحدد مستويين من الكتابة الصحافية في فرنسة وذلك على النحو التالي:

أ) **المستوى الأول**: ويضم الكتابات الصحفية التي سعى أصحابها إلى ربط الإرهاب بالإسلام، والبحث عن عنف المتطرفين في النصوص القرآنية. ومن أمثلة تلك افتتاحية مجلة لوبوان (le Point) بتاريخ 2001/11/19م التي نشرت تحت عنوان (العقاب)، حيث يتساءل كاتب الافتتاحية: "كيف يمكننا أن نعاقب مجانين الله دون أن نبعث الجنون في الجموع المضطربة جراء تقديسها لله؟ إن الإسلام متحفظ على دور الفرد، ويبقى رافضاً للإنتاج الرأسمالي، وهو ما يؤدي إلى البؤس، وهذا يؤدي بدوره إلى الثورة، والثورة تنتج الإرهاب الذي ينشده المتعصبون طلباً للشهادة... فكروا في الغرابة المروعة التي تجري في ديارنا من الحاسوب الذي ينادي للصلاة وإلى تدريب الطيارين الانتحاريين وتحضيرهم لقتال الكفار تمجيداً لله".

ب) **المستوى الثاني**: ويتضمن عدداً قليلاً من الكتابات الصحفية التي قال أصحابها بأن أفضل دفاع ضد الإرهاب هو العدالة. ومن هذا المنطلق رأت هذه الجماعة القليلة من الصحافيين الفرنسيين بأن الأحداث الدامية التي حصلت قبل تفجيرات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر وما بعدها هي نتيجة طبيعية لسياسات ظالمة. ومن أمثلة هذه الكتابات

---

[1] Thomas DELTOMBE : l'Islam Imaginaire ،Ed ،la découverte ،Paris 2005.

الافتتاحية التي نشرتها صحيفة ليبراسيون (Libération) يوم 2001/9/13م بعنوان (اللانظام العالمي الجديد) يقول كاتب هذه الافتتاحية: "إن هذا الهجوم الإرهابي على أمريكة هو إعلان حرب، وما يليه منطقياً هو الحرب الشاملة، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بهذه الحرب ضد عدو سيهرب منها، أو على الأقل قسم منه. وهذا القسم يمتلك مئات بل آلاف الانتحاريين المستعدين للموت لكي يحطموا أمريكة وإسرائيل... لابد للولايات المتحدة أن تنزع أولاً فتائل القنابل الموقوتة لعدد من الصراعات أولها في الشرق الأوسط. إن أفضل دفاع ضد الإرهاب ليس الحرب ولكن العدالة".



صفحة بيضاء رقم 20

الفصل الأول

الغرب والعالم الإسلامي

1-1 مرجعيات صورة الشخصية المسلمة في الغرب

- الإسلام والمسلمون في الدراسات الاستشراقية

يعني الاستشراق لغوياً الاتجاه إلى الشرق، والاستشراق لفظ اصطلاحي أطلق على عملية نقل التراث الشرقي إلى الغرب ودراسة لغاته وتحقيق نصوصه والحفاظ على تراثه. ويمكن القول إن الاستشراق عملية أو حدث من أجل فهم أفضل للشرق بكل ما يحويه من أفكار ومثل وعادات وعلوم، مما يساعد في حكم الشرق واستغلاله وإخضاعه للغرب.

وقد مر الاستشراق بمراحل عديدة، وتطور مع تطور معارف الغرب وقوته وازدياد سيطرته على الشرق. ولن نركز على الجوانب التاريخية للاستشراق بقدر ما سنسعى إلى إبراز بعض خصوصيات الظاهرة الاستشراقية، وصورة الإسلام في مرآة الغرب من خلال دوائر المعارف الكبرى، ثم نتناول بعد ذلك أهم الثغرات المنهجية في الدراسات الاستشراقية.

لقد اهتم المستشرقون بالعلوم الإسلامية المختلفة ابتداءً بالعلوم الفكرية من تفسير وتجويد وقراءات، وعلوم الفقه، وعلوم الحديث، وعلوم اللغة

العربية، والعلوم الاجتماعية التي تتعلق بالعـالم الإسـلامي وبالمسـلمين[1]، ومـع ذلك تناولوها بالدراسة وفقاً للعلم الذي بحثوه مما جعل للظاهرة الاستشراقية خصائص ومظاهر مميزة.

- خصائص الظاهرة الاستشراقية

للظاهرة الاسـتشراقية مظـاهر وخصـائص، إذ تعتـبر مـن أطـول الظـواهر الفكرية عمراً، وقد بدأت مع اليونان الذين اهتموا بدراسـة الشـعوب الشرقيـة في مصر والعراق والشام وغيرها. وقد كانت انطلاقة الاستشراق في اليونـان ذات هدف علمي معـرفي سرعـان مـا تغـير إلى هـدف اسـتعماري ثقـافي، حـين شـنَّ الإسكندر المقدوني حملاته على بلدان الشرق الأدنى إلى أن وصل إلى بلاد الهنـد. ويتميز الاستشراق بكونه متنوعاً، والمقصود بذلك أنه، بصفته ظاهرة فكرية، لا يقوم على أساس من التوجه الفكري الواحد، ولكن تتنـوع التوجهـات الفكريـة على النحو التالي:

أ- **التوجه الديني**: ذلك أن الاستشراق ظاهرة فكرية دينية، طورها المستشرقون اليهود والنصارى، للتعبير عن وجهة نظر دينيـة يهوديـة أو نصرانيـة تجـاه الإسلام في إطار المدرسة اليهودية والمدرسة النصرانية ضد الإسلام والرد على النقد الإسلامي لهما، ثم انتقلتا فيما بعد إلى الهجـوم عـلى الإسـلام ونقـده مـن منطلـق دينـي خـالص. وتعـد هاتـان المدرسـتان مـن أهـم مـدارس الاستشراق، وتمثلان الاستشراق الديني فيما يتعلق بالنظر إلى الإسلام.

ب- **التوجه المذهبي أو الفكري**: وينطلق من مذهب أو إيديولوجية معينـة. ويدخل تحت هذا التصنيف المدرسة الشـيوعية والمدرسـة العلمانيـة في

---

[1] ساسي سالم الحاج: الظاهرة الاستشراقية، مالطة، مركز دراسات العالم الإسـلامي، 1990م، مجلدات في أربعة أجزاء، 19 وما بعدها .

الاستشراق. فالمدرسة الشيوعية تستند كما هو معروف إلى مرجعية فكرية تمثل مذهباً رافضاً للدين ومعادياً له، وغير معترف بالأديان السماوية والوضعية على السواء. وتقوم رؤية المدرسة الشيوعية في الاستشراق على أساس مادي بحت يعد العوامل الاقتصادية المحرك الأساس في حياة الإنسان. وتتهم الشيوعية الأديان بأنها مستغلة للشعوب ومؤدية إلى سيادة المذاهب الاقتصادية المدمرة للحياة البشرية، مثل الرأسمالية والاعتراف بالملكية الخاصة.

وقد فسرت الشيوعية الأديان من هذا المنطلق وعملت على فرض رؤيتها المادية الاقتصادية على شعوبها أولاً والشعوب الخاضعة لها ثانياً، وسعت سعياً حثيثاً إلى تحويل العالم كله إلى النظام الشيوعي. وقد انعكست هذه الإيديولوجية على مدرسة الاستشراق الشيوعي وأصبحت هي الوسيلة الدعائية لتوصيل الأفكار الشيوعية إلى الشعوب الأخرى. وفي هذا الإطار تخصص عدد كبير من مستشرقي هذه المدرسة في الإسلام والشعوب الإسلامية. وقد عملت هذه المدرسة على ترويج تصور شيوعي للإسلام يرى في الإسلام قوة مادية ظهرت لأسباب اقتصادية تخص مجتمع شبه الجزيرة العربية، كما فسرت الفتوحات الإسلامية تفسيراً ماديا اقتصاديا بحتاً. وقد صور الاستشراق الشيوعي الإسلام في صورة تتفق مع الاشتراكية، وسمي بمسميات عديدة تعبر عن هذا الاتفاق مثل (الإسلام الاشتراكي) و(الإسلام الثوري)، و(الإسلام اليساري) أو (اليسار الإسلامي).

أما المدرسة العلمانية في الاستشراق فهي من أهم المدارس الاستشراقية القائمة على أساس فكري. وهي مدرسة تخلط بين الاتجاه الإلحادي العلماني غير الديني في دراسة الأديان عامة والإسلام خاصة. وتقوم هذه المدرسة في شطرها الإلحادي على إنكار الدين المبني أساساً على إنكار الألوهية، وتقول بضرورة الفصل بين الدين والدنيا، وبناء

الحياة الإنسانية على أساس دنيـوي خـالص غـير مـرتبط بالـدين. وينتمـي إلى هذه المدرسة المستشرقون الذين رفضوا اليهوديـة والنصرانيـة، وآمنـوا بالفصـل بين الدين والدولة، وعدّوا العقل ومنجزاته هما الأساس.

ومن خصائص الظاهرة الاستشراقية أنهـا شـمولية، والمقصـود بـذلك أنهـا تحتوي، بوصفها ظاهرة فكرية، على كل المجالات المعرفيـة الإنسـانية المرتبطـة بالشرق؛ كالمجـالات الدينيـة والسياسـية والتاريخيـة والاقتصـادية والجغرافيـة، والاجتماعية والأخلاقية والأدبية والعلمية والفنية. ويوجد في أغلـب الجامعـات الأوربيـة والأمريكيـة أقسـام الدراسـات الشرق أوسـطية، ومعاهـد الدراسـات ومراكز البحوث الخاصـة بالعـالم الإسـلامي دينـاً وثقافـة وحضـارة، التـي تهـتم بالدراسـات الأنثروبولوجيـة والاقتصـادية والسياسـية للمجتمعـات الإسـلامية ودراسـات المـرأة، والزراعـة والفلكلـور والـلـهجات العاميـة والغنـاء والـرقص والطعـام والشراب واللبـاس والخرافـات والأمثـال الشـعبية، وكـل مالـه علاقـة بالإنسان المسلم ومجتمعه وثقافته وحضارته في شقها الديني والشعبي.

وتتميز الظاهرة الاستشراقية بأنها متعددة الأهداف، ولـذلك تـم تصـنيف الاستشراق وفقاً للأهداف الموضوعة له على النحو التالي:

أ- **الاستشراق العلمي**: وهدفه تحصيل المعرفة العلمية عن الشرق بصفة عامة، والعالم الإسلامي بصـفة خاصـة، مـن أجـل العلـم ذاتـه، ودون الخضـوع لأي أهداف أخرى. وكثيراً ما يكون الـدافع إلى المعرفـة الاسـتشراقية دافعـاً ذاتيـاً معبراً عن رغبة شخصية لدى الدارس، يتجه على أساسها إلى التخصص في بلد شرقي دينياً وحضارياً وفكرياً، ولا يخضع المستشرق هنا لتأثير أي حكومـة أو مؤسسـة، بـل تتصـف دراسـاته بالموضـوعية العلميـة، وهـذا النـوع مـن المستشرقين قليل جداً.

ب- **الاستشراق السياسي**: وهدفه خدمة مصالح سياسية لجهة معينة،

خصوصاً إذا كانت بلداً استعمارياً يسعى إلى فرض السيادة السياسية على بلد شرقي من خلال معرفة علمية وافية عن هذا البلد، على المستويات الدينية والسياسية والاقتصادية. ويزخر تاريخ الاستشراق بعدد كبير من المستشرقين الذين عملوا في خدمة جيوش بلدانهم أو في استخباراتها، كما حصل في دول المغرب العربي[1].

ج- **استشراق ديني:** ويهدف إلى الدفاع عن اليهودية والمسيحية ضد الإسلام. وقد بدأ هذا النوع من الاستشراق دفاعياً في هدفه، ثم تحول إلى الهجوم على الإسلام من أجل تشويهه وتقديمه في صورة محرفة إلى الغرب. وسعى وراء إبعاد المسلمين عن دينهم من جهة، وتنمية عداوة الغرب وخوفه من الإسلام من جهة ثانية. ويتوزع الاستشراق الديني بين مدرستين كبيرتين هما المدرسة اليهودية والمدرسة النصرانية.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره في هذا المبحث حين تحدثنا عن مظاهر تنوع الاستشراق وتعريف المدرستين اليهودية والنصرانية، تجدر الإشارة إلى أن لكل مدرسة أهدافها الخاصة، ولكنهما تشتركان في هدفين أساسيين هما: الدفاع عن اليهودية والنصرانية، والهجوم على الإسلام. غير أن المدرسة النصرانية تطورت وجمعت بين هذين الهدفين وبين هدف آخر انفردت به عن المدرسة اليهودية، وأدى ذلك إلى تطور نوع جديد من الاستشراق يعرف بـ (الاستشراق التنصيري)، ذلك أن النصرانية تدعي العالمية وتسعى إلى الانتشار في كل بقاع العالم، فاستغلت المعرفة الاستشراقية من أجل تيسير تنفيذ مخططات التنصير ومد المنصرين بالمعلومات الضرورية عن المجتمعات المستهدفة بالتنصير. وارتبط الاستشراق التنصيري بقطاعي التربية والتعليم إذ

---

[1] عبد العلي الودغيري: الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب، الرباط، سلسلة كتاب العلم، 1993م، 17 .

أسست المؤسسات الكنيسية المعاهد والجامعات في العالم الإسلامي، ومنها ما هو قائم حتى الآن كالجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت.

د- **الاستشراق الفكري**: ونشأ في إطار تحقيق الأهداف الاستشراقية ذات الحمولة الفكرية التي تهدف إلى نشر الفكر والثقافة الغربيتين في بلاد الشرق، وتحقيق تغريب الشرق وربطه بالحضارة الغربية. ومن ثم فإن الاستشراق الفكري يخدم في المقام الأول الفكر الغربي، ويسعى إلى نشر قيم الحضارة الغربية. ولم يقتصر هذا النوع من الاستشراق على المجالات الأكاديمية، بل امتد ليشمل وسائل الإعلام الجماهيرية كالإذاعة والتلفزة والسينما التي أخذت تروج للثقافة الغربية في جوانبها السلبية؛ كاللهو والعري وحب الاستهلاك وأشكال الشذوذ والانحراف الأخلاقي في اللباس والمظهر والسلوك.

هـ- **الاستشراق الاقتصادي**: وقد ارتبط بالاستشراق السياسي ويسعى إلى الحصول على المعلومات الاقتصادية عن البلاد المستعمرة، والمساعدة في فتح أسواق جديدة لترويج المنتجات الغربية من خلال دراسة السوق الشرقي. فتطور الاهتمام بالموضوعات الاقتصادية إذ إنه، بعد انحسار الاستعمار المباشر للدول المستضعفة، ظهرت وظيفة جديدة تمثل امتداداً للحقبة الاستعمارية، وهي وظيفة الخبير الاقتصادي في العصر الحاضر الذي يعمل لدى الحكومات الغربية والمؤسسات المالية المتعددة الجنسيات، كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي وغيرهما.

و- **الاستشراق الأدبي والفني**: ويمثله فئة من المستشرقين الذين تخصصوا في الآداب العربية والإسلامية. وقد تميزت هذه الفئة باندماجها الشخصي ورغبتها الذاتية في الرفع من درجة تذوقها للآداب والفنون الشرقية. ويمثل الاستشراق الأدبي والفني تأثيراً مضاداً أو عكسياً؛

فالمؤثر هو الإسلام وموضوعاته بتراثه الفني والأدبي. ومن الأمثلة على ذلك المكانة البارزة لقصص ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والملامح والسير العربية الإسلامية والشرقية لدى المستشرقين.

غير أن لهذا النوع من الاستشراق جوانب سلبية؛ فمظاهر المجون والفجور الموجودة في قصص ألف ليلة وليلة ألصقت بالإسلام زوراً وبهتاناً؛ لأن الإسلام، كما هو معروف، دين العفة والطهر ويحارب الرذيلة والفسق والفجور.

ز- **الاستشراق الصحفي**: ويعد أحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة التي ينضوي تحت لوائها عدد هائل من الصحفيين المتخصصين في شؤون الإسلام والمسلمين. وتعد تغطية الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ذات الطابع الإسلامي أبرز تخصصاتهم؛ فهم لا يتوانون عن تزويد المؤسسات والشبكات الإعلامية التابعة لها بمقالات وتحقيقات واستطلاعات مثيرة ومتسمة بالطابع التجاري المحض. وتميل دراسات هؤلاء الصحفيين إلى كثير من السطحية والتعميم، مع أن مستندهم الأساس في إثارة الشبهات والافتراءات هو ما يكتبه المستشرقون المتخصصون. غير أنه إذا كان المستشرق المتخصص لا يورد الشبهة إلا بعد أن يمهد لها بما يسوغ النتيجة التي يرمي إليها بكثير من اللباقة والتحايل والتعامل مع النصوص موضوع دراسته، فإن المستشرق الصحفي يقتصر على إيراد تلك الشبهات مجردة من كل دليل مهما كان متهافتاً.

ومن المعلوم أن معظم هؤلاء المستشرقين الصحفيين يعززون مواقعهم الثقافية بالاضطلاع بدراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية، وهي دراسات تكون مقترحة وممولة من طرف محافل الاستشراق الحديثة ومراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجامعات الغربية. فمركز الأبحاث حول العالم العربي الإسلامي مثلاً التابع للمركز الوطني

للبحث العلمي بباريس يعد أكبر مجمع للمستشرقين الصحفيين الفرنسيين المهتمين بدراسة المجتمعات الإسلامية، ومقره في مدينة إيكس آن بروفانس (Aix En Provence) بجنوب فرنسة.

وكثيراً ما تُعتمد وتُستغل الدراسات والاستطلاعات التي تمولها مؤسسة الاستشراق الصحفي من طرف وسائل الإعلام الغربية، وهي غالباً ما تضفي على الصورة القاتمة والمغرضة لحياة المسلمين والتي كوَّنها في الأصل الخطاب الاستشراقي الأكاديمي، نوعاً آخر من التضليل والتشويه لصورة الإسلام والمسلمين.

ومن خصائص الظاهرة الاستشراقية كذلك اتساع دائرة التأثير الاستشراقي؛ إذ إن هذا التأثير ليس محصوراً فقط في الشعوب الشرقية، ولكن امتد واتسع ليشمل الفكر الغربي نفسه. ويتضح ذلك في الأمور التالية:

- انتقال المعرفة الإسلامية والشرقية إلى الغرب بواسطة الاستشراق، فقد استفاد الغرب من هذه المعرفة من خلال قيام المستشرقين بترجمة النصوص الأساسية في البيانات والنصوص العلمية في العلوم عند المسلمين. ويعني ذلك أن الاستشراق مسؤول عن نهضة الغرب العلمية، وله إسهاماته في تقدم العلوم في الغرب من خلال النصوص الشرقية والإسلامية التي ترجمت إلى اللغات الأوربية قبل عصر النهضة.

- تطور المنهج النقدي العقلي في الغرب وبخاصة في مجال الدين، فقد أفاد المستشرقون وغيرهم من علماء الدين في الغرب من المواد والنصوص الدينية التي ترجمت إلى اللغات الأوربية، ومن أهمها ترجمات معاني القرآن الكريم، والكتابات الإسلامية في تاريخ الأديان، وترجمة النصوص الكلامية والفلسفية، ولا سيما النصوص ذات الاتجاه العقلاني

التي ألفها المعتزلة، وأعمال الفلاسفة المسلمين خصوصاً الفارابي والكندي وابن سينا وابن رشد.

ومن الناحية التاريخية تم تقسيم الاستشراق إلى عهدين متميزين؛ الأول ويمتد حتى مطلع عصر النهضة في أوربة (القرن السادس عشر). والعهد الثاني ويبدأ من تلك المرحلة ولا يزال مستمراً حتى الوقت الحاضر.

ففي بداية العهد الأول قام علماء مسلمون ويهود ومن أوربة بنقل روائع العلوم الإسلامية إلى اللغة اللاتينية. وبعد حين جاءت الكنيسة الكاثوليكية فألقت بثقلها في الموضوع، ووجهت العمل إلى مناحٍ أخرى اتسمت بالنزعة التبشيرية من أجل الدعاية للمذهب الكاثوليكي والدفع بالمسلمين واليهود إلى اعتناق الدين المسيحي. ومع بداية عصر النهضة فقد الشرق زمام المبادرة وأصبح ممزقاً غارقاً في الجهل، ولم يعد عنده ما يقدمه للآخرين، في حين بدأت العلوم والآداب تتقدم وتترقى وتزدهر في أروبة بعد أن نقل إليها أفضل ما في الكتب العربية والإسلامية من معارف، بل بدأت الدول الأوربية تتطلع إلى البلدان الشرقية لاستثمار خيراتها والسيطرة عليها.

انطلاقاً من هذه المرحلة التاريخية طرأ تحول جذري في اتجاه الاستشراق، وتشجيع المستشرقين وتمويل الدراسات الاستشراقية، فبدأ الاستشراق يخرج عن سيطرة الكنيسة ويخضع لسلطة الحكومات، ومن ثمة شرعت الدول الكبرى في تسخير نتائج الدراسات الاستشراقية لأهدافها وأطماعها الاستعمارية للسيطرة على شعوب الشرق وتنصيرها. ومن هنا كانت بداية العهد الثاني من الاستشراق، وظهر الاستشراق الحديث الذي تحالف مع الاستعمار ومع الكنيسة من أجل إخضاع الشرق كلياً لسيطرة الغرب. فظهرت بعد ذلك مدارس جديدة للاستشراق كالمدرسة الفرنسية والألمانية والإسبانية والإنجليزية.

وبما أن الفصل الثاني من هذا الكتاب يتناول بالتحليل رؤية الإعلام الفرنسي للشخصية المسلمة، فسنقتصر على الإشارة إلى خصوصيات المدرسة الفرنسية في الاستشراق التي تعد من أقدم المدارس التي تناولت التاريخ العربي والإسلامي ومن أعرقها؛ إذ راح المستشرقون الفرنسيون يكتبون في هذا المجال ما تمليه عليهم المصادر التاريخية المتوافرة لديهم حيناً، وما تمليه عليهم ضمائرهم ونياتهم حيناً آخر. وقد أدت الحملات الصليبية دوراً كبيراً في تعريف الغربيين بالمنطقة العربية والحضارة الإسلامية منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي، وزاد الاهتمام الفعلي للدراسات الاستشراقية بالإسلام والمسلمين وثقافتهم وحضارتهم من طرف باحثين وسياسيين فرنسيين، إذ كان رجال الدولة والاقتصاد يرسلون مبعوثين وباحثين، أو يكلفون بعض المعتمدين في القنصليات الفرنسية في المشرق بشراء المخطوطات العربية والإسلامية والشرقية وجمعها. كما سعوا إلى فتح أسواق تجارية لهم في هذه المنطقة من أجل الإفادة من تراثها وثرواتها. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى الدور الذي أدته الحملة الفرنسية لاحقاً في هذا المجال، إذ كان حصيلة جمع المخطوطات أكثر من 320 مخطوطة، جمعها بشكل دقيق ومدروس الباحثون وعلماء المشرقيات من الذين كانوا يرافقون نابليون في حملاته.

ومن اللافت للانتباه أن معظم المستشرقين الفرنسيين كانوا يعتمدون في دراساتهم للإسلام وحضارته على مصدر ذي اتجاه محدد، فجاءت دراساتهم تبعاً لذلك غير كاملة فقد تم الاعتماد على مصدر وحيد هو المصدر التاريخي الذي كتبه رجال السلطة وأصحاب النفوذ، مع إغفال متعمد للجوانب الروحية في الدين الإسلامي الحنيف.

وبخصوص موقف المستشرقين من الإسلام يمكن تقسيمهم في ذلك إلى قسمين:

أ- **القسم الأول** : ويضم طائفة من المستشرقين الذين اتجهوا إلى المنهج الاستشراقي بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها، فخصصوا جهودهم في البحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة الخالصة. وقد أسلم بعض هؤلاء، وأصبح منهم الدعاة إلى الإسلام كما هو الشأن مع توماس أرنولد الذي أنصف المسلمين في كتابه (الدعوة إلى الإسلام)، والمستشرق الفرنسي ناصر الدين دينييه صاحب كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام)، والنمساوي ليوبولد فايس الذي اعتنق الإسلام وغير اسمه إلى محمد أسد ليصبح داعية من دعاة الإسلام وألف كتاب (الإسلام على مفترق الطرق). غير أن أبحاث هؤلاء المستشرقين لا تلقى رواجاً في الغرب لأنها لا تتعمد الدس والتحريف في الدين الإسلامي ومصادره.

ومن هذه الفئة المنصفة والمعتدلة من المستشرقين نذكر: هارديان ريلاند (1718م) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندة وصاحب مؤلف (الديانة المحمدية) في جزأين باللغة اللاتينية. وقد وضعت الكنيسة في أوربة كتابه في قائمة المؤلفات المحرم تداولها. كما نذكر يوهان.ج.راسيله (1716-1774م) الذي اتهم بالزندقة لموقفه الإيجابي من الإسلام، وغوستاف لوبون، وسلفستر دي ساسي، وجاك بيرك المشهور بدراساته الموضوعية عن الإسلام والمسلمين في مجتمعات دول المغرب العربي بشمال غرب إفريقية.

ب- **القسم الثاني**: ويشمل طائفة من المستشرقين المتعصبين الشديدي العداء للإسلام، ويسعى هؤلاء جهدهم للطعن في الدين الإسلامي وتشويه صورته، ومن أشهرهم: أ.ج. أريري، وألفرد جيوم، وبارون كارادي فو، وجولدزيهر، وصمويل زويمر، وغ. فون جرونباوم، وأ.ج. فينيسك، وكينيت كراج، ولويس ماسينيون، ود.ب كاكدونالد، ود.س مرجوليوث،

وأ. نيكولسون، وهنري لانس اليسوعي. وأغلب هؤلاء المستشرقين كانوا من محرري دائرة المعارف الإسلامية ودائرة معارف الدين والأخلاق، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية.

وتعدُّ هذه العينة من الموسوعات من أخطر أعمال التغريب والغزو الثقافي التي قامت على أساس معطيات الجهد الاستشراقي والتبشيري اللذين سارا معاً في خدمة هدف واحد؛ هو القضاء على الإسلام، عن طريق تشويه صورته وتحريف مفاهيمه وحقائقه السامية، والتهجم والافتراء على الشخصيات المقدسة والرموز العظيمة من رجالات الإسلام. ومن الأمثلة على ذلك "أن هذه الدوائر والموسوعات تقدم للقارئ مادة (إسلام) و(محمد) و(قرآن) حسب التصنيف لهذه المفردات التي تتبعها هذه الموسوعات والدوائر على النحو الذي قدمته دوائر الاستشراق والتبشير في القرن التاسع عشر، ولم تتحول عنه رغم التغييرات الإيجابية التي طرأت على الفكر الغربي في نظرته إلى الإسلام ومفاهيمه الحقيقية، ورغم العديد من الدراسات والأبحاث التي صححت بعض الشيء المغالطات الواردة في أفكار ومقولات المستشرقين والمبشرين القائمة على التعصب الديني والحقد ضد الإسلام والمسلمين والتي كانت سائدة لديهم ومعتمدة عندهم طيلة القرون المنصرمة، ككتابات برناردشو، وداربر، وغوستاف لوبون، وجاك بيرك، وغيرهم"[1].

لقد أوردت دائرة المعارف البريطانية مادة (إسلام) حيث ادعت فيها أن الإسلام مأخوذ من المسيحية واليهودية، وأن الرسول ﷺ لم يهاجر، ولكنه هرب من مكة المكرمة. وكان الهدف من وراء هذه الافتراءات الإساءة إلى صورة الرسول الكريم، وإفراغ فكرة النبوة والرسالة التي يؤمن

[1] فؤاد كاظم المقدادي: الإسلام وشبهات المستشرقين، سلسلة كتاب الثقلين، المجمع العالمي لأهل البيت، ط1، 1416هـ 71 .

بهـا المسـلمون مـن مفهـوم ارتباطهـا بالغيـب والـوحي الإلهـي، أو محاولـة الانتقاص من مقام الرسول ﷺ وقدسيته بادعاء أنه يتصرف بوحي ذاته، ولـيس هناك ارتباط بينه وبين السماء عن طريق الوحي، والقول بأنه شخص عـادي في إطار روايات كاذبة ومقولات مدسوسة.

ومن الملاحظ على المصادر التي اعتمدتها هذه الـدوائر والموسـوعات أنهـا مصـادر متـأخرة زمنيـاً عـن زمـن الوقـائع التاريخيـة، وقـد عُـرف عـن أغلـب المستشرقين خصوصاً مـنهم مـن في دوائـر المعـارف الغربيـة والعـاملين فيهـا - تعصبُهم لوجهة نظر مزدوجة؛ تستند من جهة إلى الدين النصراني الذي يدعون الإيمان به ولا يقرون بوجود دين غيره أو بعده، كما تستند من جهـة ثانيـة إلى نزعة استعلائية من زاوية المفهوم الاجتماعـي والسـياسي الـذي يحكـم فلسـفة الحضارة الغربية كلها، والنفوذ الاستعماري الأوربي في بلاد الإسلام، وكلها عوامل تمنع الإقرار والاعتراف بالإسلام بعيداً عن التعصب الديني والعداء السياسي.

ومن أشهر الموسوعات التـي أسـاءت إلى صـورة الإسـلام والمسـلمين نـذكر دائرة المعارف الإسلامية، وهي أكبر إنتاج موسوعي اسـتشراقي، ألفـه مجموعـة كبيرة من المستشرقين من جنسـيات أوربيـة مختلفـة تحـت إشراف المسـتشرق (فنسك). وقد كان القاسم المشترك بـين مـؤلفي هـذه الموسـوعة الشـهيرة هـو معاداة الإسلام والتعصب ضده باعتبـاره دينـاً سـماوياً، والابتعـاد عـن النزاهـة والموضوعية في تناول أمهـات القضـايا الإسـلامية خصوصـاً مـا يمـت إلى أصـوله العقائدية بصلة. وقد اهتم كثير من الباحثين المنصـفين والمحققـين المتخصصـين بدراسة دائرة المعارف الإسلامية، وأشاروا إلى أنها تحوي مجموعة مـن الأخطـاء والدسائس الناشئة عن التعصب الأوربي.

وبما إن أغلب كتاب هذه الدائرة قساوسة مبشرون لا يهمهم سـوى الافتراء على الإسلام وتشويه حقيقته السامية، فقـد أجمعـت آراء هـؤلاء

الباحثين المنصفين على أن دائرة المعارف الإسلامية تضم مجموعة من المحاذير، التي يجب التنبه لها والتصدي للرد عليها، وكشف أهدافها المتمثلة في الآتي:

أ-سيطرة البدع الدخيلة في الدين الإسلامي على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة، وباستخدام أساليب الكذب المتقنة.

ب-القصد المتعمد في الجمع بين أساطير البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان وحقائق الشريعة.

ج-الهجوم بشراسة على الإسلام، والإصرار على عدم تصحيح الأخطاء والمطاعن التي انكشف أمرها جلياً، وقد نتج عن ذلك خطر يكمن في نشوء جيل من المتعلمين والباحثين، يعد ما ورد في دائرة المعارف الإسلامية مراجع موسوعية أساسية تضافرت فيها جهود عشرات العلماء والمفكرين من المستشرقين، يعتمد عليها دون أن يفرق الحق والباطل فيها.

لقد ظل هذا النوع من الدراسات الاستشراقية مرتبطاً بمصدرين خطيرين هما: الكنيسة ووزارة المستعمرات في الدول المستعمرة لدول العالم الإسلامي، وعلى رأسها بريطانية وفرنسة وهولندة. وقد كانت هذه الدراسات الاستشراقية مليئة بالأخطاء، وهادفة إلى تصوير الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية بأنهما غير قادرين على إثبات وجودهما واستعادة مكانتهما، لذلك كانت أغلب دوائر المعارف والموسوعات الغربية لا تفرق بين مفهوم التوحيد والنبوة كما هو في الإسلام والأديان الأخرى، ولا تميز بين الألوهية والنبوة، وبين الرسل والصحابة.

- بعض الثغرات المنهجية في الرؤية الاستشراقية للإسلام

بداية يلزم تأكيد أن الاستشراق لم يظهر في مناخ محايد، وإنما تشكل

في ظل الصراع الحضاري الذي نشأ بين الشرق الإسلامي من جهة، والغرب النصراني من جهة أخرى، وما جسدته الحروب الصليبية التي تواصلت نحو مئتي عام، من تعبير دموي عنيف عن هذا الصراع.

لقد أضحت الأساطير المترجمة إلى اللاتينية واللغات الأوربية الأخرى عن الشرق، أهم مصدر لمعرفة الشرق والاستعداد لقصده والترحال فيه، ويلاحظ ذلك في قصص ألف ليلة وليلة التي ترجمت إلى أغلب اللغات الأوربية منذ زمن مبكر، فأصبحت هذه القصص في نظر الغربيين آنذاك أهم كتاب يصف المجتمعات الشرقية، ويعكس حقيقة علاقاتها، ويحدد طبيعة ثقافاتها.

لقد استأثرت الدراسات الاستشراقية بمزيد من الاهتمام في أوساط الباحثين المسلمين في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وانصب جانب كبير من هذا الاهتمام على مناقشة تلك الدراسات والرد عليها وتفنيد مضامينها ذات الأبعاد التشكيكية في معطيات الدين الإسلامي وتعاليمه السامية[1].

ومما لاشك فيه أن معظم الدراسات الاستشراقية تهدف في الأساس إلى تحطيم الثقة بالمعتقدات والمبادئ التي يؤمن بها المسلمون وتدميرها، فالباحث المطلع على الرصيد الضخم من التراث الاستشراقي سرعان ما يفاجأ بكثرة الشبهات والطعون والافتراءات التي يوردها المستشرقون في كل مناسبة وحين، مستعملين في أثناء ذلك كل أساليب التحايل والمبالغة في الشك في الدلائل القطعية ونفيها، وتشويه صورة الإسلام والمسلمين وحضارتهم[2].

---

[1] د. حسن عزوزي: الإسلام والغرب، قضايا ومواقف، الطبعة الثانية، 1999م، 81 .
[2] د. حسن عزوزي: المرجع السابق، 85 .

وفي إطار الرد على شبهات المستشرقين وافتراءاتهم ظهرت في العالم الإسلامي دراسات لباحثين مسلمين انبرت لكشف الثغرات المنهجية للدراسات الاستشراقية. وعلى كثرة الأبحاث الاستشراقية وتدفقها الهائل، وعدم استطاعة الردود الإسلامية ملاحقة كل ما تقذفه المطابع الغربية، وما ينشر يومياً عبر الشبكة العالمية للمعلومات الإنترنيت من أبحاث ودراسات استشراقية تسيء إلى الإسلام والمسلمين، فقد استطاع بعض الأكاديميين من داخل العالم الإسلامي وخارجه توجيه ضربة موجعة للفكر الاستشراقي المتحيز وكشف منهجه الزائف. ومن ضمن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي أصدر كتاباً يحمل عنوان (الرد على مطاعن المستشرقين)، وقد ردَّ فيه بأسلوب علمي على تهجم المستشرقين على القرآن الكريم كاشفاً فيه أيضاً الأغراض والأهداف التي وجهها الاستشراق للإسلام، والادعاءات التي طالما رددها المستشرقون في مطاعنهم وهجماتهم الفكرية المغلفة بالعلم والعقل والمنطق. ومنهم الأكاديمي الفلسطيني الأصل الدكتور إدوارد سعيد الذي أصدر كتابه المشهور (الاستشراق)[1] ، الذي أحدث ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والأكاديمية باعتبار المؤلف أستاذاً جامعياً بارزاً في جامعة كولومبية بالولايات المتحدة الأمريكية، مشهوداً له بالنزاهة والدقة والمنهجية في الحقل المعرفي.

وقد كشف إدوارد سعيد في كتابه المذكور الأغراض الإيديولوجية والفكرية للاستشراق، مفنداً الدعاوى التي أطلقها زيفاً تجاه الشرق، والأحكام المسبقة والجاهزة على شعوبه وفي مقدمتها الشعوب الإسلامية، والصورة النمطية التي سعى إلى ترسيخها في عقل الإنسان الغربي. وأوضح أن الاستشراق أقام لنفسه سلطة الحق المطلق في طرح التصور

[1] Edward Said: Orientalism, New Work, Vintage Books, 1978.

الذي يراه وفق فهم الغرب عن الشرق عموماً، والإسلام على وجه الخصوص.

لقد استمد علم الاستشراق الحديث، حسب إدوارد سعيد، قواعده من العلوم والأفكار التي سيطرت على أوربة منذ القرن الثامن عشر، ولهذا كانت وظيفة الاستشراق في رأيه أداتية تعيد إلى أوربة مشاعر الإحساس بالتفوق، مقابل التفوق الفعلي الذي احتفظ به الإسلام لقرون طويلة. وأوضح إدوارد سعيد أن القاعدة الأداتية التي تدفع الاستشراق المعاصر سياسية بالدرجة الأولى، مبعثها الخوف الباطن من الإسلام لدى الإنسان الغربي، وهو شعور لا يبرح النفسية الغربية المغلقة بالأفكار المعروفة ذات النزعة المركزية تجاه الآخر، أو ما يسمى برسالة الرجل الأبيض الحضارية والتي تعطيه كل الحق في تسويغ كل ما يفعله، ولذلك يرى إدوارد سعيد أن بنية الاستشراق ليست سوى بنية من الأكاذيب أو الأساطير التي ستذهب أدراج الرياح إذا ما انقشعت الحقيقة المتعلقة بها.

- الإسلام والمسلمون في المناهج والكتب المدرسية في الغرب

ترتكز مناهج التربية والتعليم في الدول الغربية الأوربية والأمريكية على نظم علمانية غير دينية، حيث لا يتم تدريس الدين في المدارس الحكومية، وذلك استناداً إلى قرار إلغاء مادة التربية الدينية في إطار تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة في معظم الدول الغربية منذ أواخر القرن التاسع عشر. وعلى هذا الأساس أصبح الدين شأناً داخلياً للإنسان الغربي، ومن ثم فإن الأسرة هي التي تقوم بمهمة التربية الدينية وليس المدرسة. وتبعاً لذلك تكاد تخلو المناهج والمقررات الدراسية في الغرب من مادة تدريس الأديان حيث تتم الإشارة فقط إلى تاريخ الأديان في كتب التاريخ المدرسية.

ويلاحظ دارس كتب التاريخ المدرسية في الغرب منذ الوهلة الأولى أن

سرد الأحداث التاريخية لا يتم بالتتابع التاريخي للأحداث في كل دولة على حدة، بل يتم سرد هذه الأحداث من خلال موضوعات وقضايا محورية في الأديان السماوية الثلاثة؛ اليهودية والمسيحية والإسلام. كما يتم التركيز على الأحداث التاريخية التي كان لها تأثير في حياة الشعوب في الغرب، في حين أغفلت الإشارة إلى الأحداث التاريخية الهامة في دول الشرق الأوسط وإفريقية وآسية؛ لأن الاهتمام كله منصب على أوربة وأمريكة وتاريخهما القديم والحديث.

وتعتقد الدكتورة فوزية العشماوي في دراسة مقارنة لها حول الموضوع[1] أن الغرض الأساس من وراء ذلك هو بث أفكار مسبقة في أذهان الطلاب الغربيين، خاصة تلاميذ المدارس الابتدائية؛ لحثهم على الافتخار ببلدهم وأوطانهم، وغرس بذرة عدم الاهتمام بالآخر، وعدم معرفته من منطلق أنه أقل شأناً وأقل حضارة، وتاريخه لا يستحق الاهتمام الذي توليه المناهج الدراسية في الغرب لتاريخ أوربة وأمريكة.

ومما لاشك فيه أن مؤلفي الكتب المدرسية الغربية، في تناولهم لموضوع الإسلام وحضارته، كانوا متأثرين بما درسوه بدورهم في طفولتهم عن الإسلام والمسلمين في كتب التاريخ الغربية التي أعدها جيل سابق من خبراء التربية والتعليم في الغرب، والتي استقت معلوماتها من دوائر المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام والحضارة الإسلامية وموسوعاتهم. وبذلك ظل تشويه صورة الإسلام والمسلمين معرفة تتناقلها الأجيال عبر وسائط متعددة بدءاً بكتب التاريخ في مختلف مراحل التعليم.

---

[1] AL ASHMAWI Fawzia: Etude comparative des manuels scolaires d'histoire des pays des deux rives de la méditerranée, Publication institut Robert Schuman pour l'Europe, paris, 1996.

- مكونات صورة الإسلام والمسلمين في المقررات والكتب المدرسية في الغرب

تعد المقررات والكتب المدرسية المرتبطة بمادة التاريخ المجال الأكثر تناولاً لصورة الإسلام والمسلمين. وبمراجعة مناهج التاريخ المدرسية في الغرب، للبحث عما ذكرته عن تاريخ الآخر عامة وتاريخ العرب والمسلمين خاصة، وجد الدارسون الذين اهتموا بهذا الموضوع[1] أن معظم الدول الغربية تشيد بتاريخها المجيد؛ وتندد بتاريخ الآخر وتشوهه عمداً أو دون عمد. وأجمع هؤلاء الدارسون على خطورة هذه الظاهرة، وأطلقوا عليها مصطلح (Eurocentrisme) أي المحورية العرقية الأوربية التي تجعل من أوربة محور العالم والثقافة والتاريخ، وتهمش تاريخ الشعوب الأخرى ومن ضمنها الشعوب الإسلامية.

وتعد ظاهرة (تهميش الآخر) نوعاً من رفض (الآخر)؛ أي الإنسان المسلم والحضارة الإسلامية المختلفين عن الإنسان الغربي الأوربي وحضارته، وعدم قبول التعرف عليهما وعلى مكوناتهما وعلى دورهما في تاريخ الإنسانية وحضارتها. وتعكس هذه اللامبالاة واحتقار تاريخ الآخر

---

[1] نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر:

-AL ASHMAWI Fawzia: l'image de l'autre dans les manuels scolaires. in international textebook Research, Unesco Newsl et ter 5, vol. 18, 1986.

-AL ASHMAWI Fawzia. L'islam dans les manuels scolaires européens. Publication World islamic call society, Tripoli, 2004.

-DELPUP Henri: Images d'un orient européen dans les manuels d'histoire, francais, IUFM, Toulose, 2003.

-El HALOUGI, Moustafa: L'islam dans les manuels scolaires en France, Paris, le courrier international, N«568, 2001.

-NASR Marléne: Les Arabes et l'islam vus par les manuels scolaires, Karthala, Paris, 2001.

وحضارته، خاصة تاريخ الإسلام والمسلمين، الرفضَ الواعي المتعمد أو غير الواعي للآخر. وقد حرص الأوربيون منذ العصور الوسطى وعبر الأجيال على تصوير الآخر؛ أي المسلم وكل ما يتعلق به، بأسلوب منفر بقصد تشويه صورته حتى يخاف منه الطلاب في أول لقاء لهم مع الإسلام والمسلمين على صفحات كتب التاريخ المدرسية، لينضاف ذلك إلى ما تروجه برامج وسائل الإعلام الموجهة إلى الأطفال من رسوم متحركة ذات مضامين محتقرة للإنسان المسلم وحضارته وقيمه الدينية والثقافية.

ومع أن المناهج الدراسية الأوربية تحاول الحفاظ بقدر الإمكان على العلاقات الدبلوماسية الموجودة بينها وبين الدول الإسلامية منذ بداية القرن الماضي، ومراعاة المواثيق والمعاهدات الدولية التي تربط بين الدول والتي تنص على احترام حقوق الإنسان وحقوق الأقليات في جميع أنحاء العالم، فإن الصورة التي تقدمها معظم هذه المناهج عن الإسلام والمسلمين لا تزال مشوهة وعالقاً بها كثير من الشوائب والمغالطات المتعمدة، وكثير من النواقص وعدم الاهتمام بالجوهر، والتركيز على الأنماط المتكررة والأفكار المتوارثة.

فالمقررات والكتب المدرسية لمادة التاريخ في فرنسة مثلاً - مازال يوجد بها كثير من الشوائب والسلبيات، والإغفال المتعمد للحضارة العربية والإسلامية، وقد يرجع ذلك إلى الخلفية التاريخية والآثار المترتبة عن استعمار فرنسة لدول إسلامية في المغرب العربي، والسياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسة لتشويه صورة المسلمين في هذه الدول وتحقيرهم والاستهزاء بمعتقداتهم. ولذلك ترسخت هذه الصورة السلبية عن المسلمين العرب والتصقت هذه التشوهات في أذهان الفرنسيين بالمسلمين عامة.

أما بقية الدول الأوربية الأخرى المجاورة لفرنسة فقد خطت خطوات كبيرة خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الماضي، ولا سيما النمسة

وإنجلترة وإيطالية وألمانية والسويد والدانمارك وإسبانية والتي اعترف أغلبها بالإسلام رسمياً. وقد كانت صورة الإسلام والمسلمين متشابهة في أغلب كتب التاريخ المدرسية في هذه الدول، وأصبحت صورة بعيدة إلى حد ما عن التشوهات السابقة على وجود بعض السلبيات، خاصة الإغفال المتعمد لفضل الحضارة العربية والإسلامية على الحضارة الإنسانية، وفضل العلماء العرب والمسلمين في الأندلس في العصر الذهبي للإسلام على النهضة الأوربية في القرن الخامس عشر الميلادي.

غير أن الأمور في فرنسة ظلت مختلفة تماماً؛ حيث لا زالت صورة الإسلام والمسلمين في المقررات والكتب المدرسية المتداولة صورة مشوهة، وفيها كثير من الشوائب والسلبيات بدرجات متفاوتة في طبعات مختلفة لدى ناشرين متعددين، من أكثرها انتشاراً طبعات هاتييه (Hatier) وهاشيت (Hachette) وبلين (Bellin) وناثان (Nathan) وبورداس (Bordas). وتحتوي كل هذه الطبعات على المنهج نفسه تقريباً، ويتم تدريسها في المدارس الحكومية أو المدارس الخاصة، إذ إن كل مدرسة تختار كتاب التاريخ من بين مختلف الطبعات وتقرره لتلاميذها، ولا يتم تعديل هذه الكتب إلا كل خمس سنوات.

وباستعراض معظم هذه الكتب وتحليل ما تذكره عن الإسلام وعن المسلمين توصلت الدكتورة فوزية عشماوي في دراستها حول الإسلام في المقررات الدراسية الأوربية[1] إلى أن عدد الصفحات المخصصة للشرق وحضاراته، بما في ذلك الحضارتين البيزنطية والصينية، يقل عن 10% من إجمالي كتاب التاريخ، والنسبة المخصصة للحضارة الإسلامية داخل الحضارات الشرقية لا تتعدى نسبة 4.5% من إجمالي المقرر الدراسي،

---

[1] AL ASHMAWI: l'islam dans les manuels scolaires européen, Publication World Islamic Call society, Tripoli, 2004.

وهي نسبة ضئيلة جداً بالمقارنة بباقي المقرر أي نسبة 5.5% المخصصة لتاريخ أوربة وأمريكة.

وبمراجعة كتب التاريخ الفرنسية المذكورة سلفاً توصل الباحث (هنري دال بيب) في دراسته حول صور الشرق في كتب التاريخ الفرنسية[1] إلى أن كتاب هاتييه للتاريخ (Hatier) في طبعة عام 2001م المخصص للصف الثالث الإعدادي، خصص أكبر عدد من الصفحات لعرض الحضارة الإسلامية، حيث بلغ عددها أكثر من عشرين صفحة من مجموع 288 صفحة بنسبة 7% تقريباً. وهي أعلى نسبة بين جميع الكتب والمقررات الدراسية التي تناولها الباحث (هنري دال بيب) في دراسته المذكورة.

ويمكن تحديد مكونات صورة الإسلام والمسلمين في المقررات والكتب المدرسية في الدول الأوربية من خلال بعض القضايا المحورية التي تم التركيز عليها في هذه المقررات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المحاور المتعلقة بالقرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ، والحضارة العربية الإسلامية، وفضل العلماء العرب المسلمين على النهضة الأوربية، والقوالب النمطية للمسلمين، ومكانة المرأة في الإسلام، والحج والجهاد.

أ- القرآن الكريم وشخصية الرسول محمد ﷺ

تقدم المقررات والكتب المدرسية في الغرب شخصية الرسول محمد ﷺ في صور متعددة؛ فهو أحياناً (رسول شاعر ملهم يرى رؤيا خارقة)، وأحياناً (شخصية مستبدة برأيها)، و(فقيراً معدماً لم يشعر بالأمن إلا بعد زواجه من سيدة ثرية جداً تكبره بكثير). كما تدعي بعض هذه الكتب المدرسية أن الرسول ﷺ قد (التقى باليهود والنصارى وخاصة الأحبار

[1] DEL PUP Henri: images d'un orient européen dans les manuels d'histoire fran5ais, IUFM, Toulouse, 2002.

والرهبان فتعلم منهم وأخذ الكثير من المعلومات من التوراة والإنجيل وأدخلها في كتاب القرآن). وتزعم كتب مدرسية فرنسية أن الرسول ﷺ (رأى رؤيا جعلته يعمل بالتبشير بالرب الواحد، ولما أخرج من مكة ظل مشغولاً باسترجاعها فلجأ إلى العنف والجهاد، وتمكن بفضل فنه في قيادة الجماعات إلى توحيد الضالين الذين زرع فيهم روح التعصب ووعدهم بالجنة إذا ماتوا في سبيل الحرب المقدسة أي الجهاد)[1].

وفي كتاب التاريخ للصف الأول الثانوي الصادر عن مطابع هاتييه (Hatier)، جاء ذكر القرآن الكريم والرسول ﷺ في الفصل الخاص بعرض الحضارة الإسلامية، حيث ورد في الفقرة الأولى شرح للرسالة المحمدية على النحو التالي: "محمد بالنسبة إلى المسلمين هو الرسول الأخير والوحيد الضروري من بين كل الأنبياء".

كما يتضمن هذا الكتاب فقرة مأخوذة من مؤلف بعنوان (ترجمة القرآن)، لأحد القساوسة الإفرنج ذوي النفوذ الديني المشهورين في القرن الثاني عشر الميلادي والمسمى (Pierre le vénérable) يقول فيها: «لنعطِ للغلطة المحمدية الاسم المخجل هستيريا أو الاسم المقزز الوثنية، ويجب العمل ضدها أي أن تكتب ضدها، ولكن اللاتينيين لا يعرفون سوى لغة بلدهم الأصلي، لذلك لم يعرفوا فظاعة هذه الغلطة، ولا كيف يسدون الطريق أمامها. لذا ذهبت أبحث عن متخصصين باللغة العربية التي جعلت هذا السم القاتل يعيث الفساد في أكثر من نصف العالم، وأقنعتهم بصلواتي وبابتهالاتي وبالأموال أن يقوموا بالترجمة من العربية إلى اللاتينية لتاريخ هذا التعس وعقيدته وقانونه الذي يطلقون عليه القرآن».

ومما لا شك فيه أن الطالب الأوربي غير المسلم سيختزن في ذاكرته

---

[1] مصطفى الفالوجي: الإسلام في المناهج الدراسية في فرنسة، لوكورييه انترناشيونال، كانون الثاني/ يناير 2003م، 33

صورة سلبية عن شخصية عظيمة هي الرسول محمد ﷺ الذي قدم إليه بنعوت وأوصاف يمتزج فيها الاستبداد والسحر والعنف والجهاد والتعصب والدهاء. كما أن هذا التلميذ الذي يقرأ ما كتبه أحد القساوسة في القرن الثاني عشر عن القرآن الكريم لن يتذكر السياق التاريخي الذي كتب فيه هذا الكلام، حين كان المسيحيون يعدّون الرسول محمد ﷺ أكبر عدو للكنيسة الكاثوليكية، وإنما سيظل عالقاً بذهنه أن دين الإسلام (هستيريا ووثنية) وأن القرآن الكريم (سم قاتل).

ومما يثير الدهشة أن المقررات والكتب المدرسية في أوربة حين تتحدث عن انتشار المسيحية وحياة المسيح، تقدمها وكأنها وقائع تاريخية ثابتة لا تقبل التأويل، وذلك باستخدام صيغة التأكيد وعرضها بالصورة الملونة والخرائط والرسوم. في حين تستخدم صيغة فعل الشك (conditionnel) حين عرض الرسول محمد ﷺ وتقديمه، وأحياناً أخرى يتم استخدام تعبيرات تدعو إلى الشك والتساؤل مثل (يبدو أن) أو (قد يكون) أو (حسب ادعائه).

ولا يخفى أن الهدف من وراء ذلك هو زرع الشك والبلبلة في نفوس التلاميذ حول مصداقية الرسول ﷺ. كما لا تخفى الدوافع والمرامي التي جعلت دولة أوربية، مثل فرنسة، بلد حقوق الإنسان والحرية والعدالة، لا تزال في القرن الحادي والعشرين تدرس لأبنائها في المدارس الحكومية أن الرسول محمداً ﷺ هو الذي ألف القرآن، وأنه ارتكز في دعوته على مجرد رؤيا وأحلام، وهي اقتراحات تتنافى مع معتقدات المسلمين، ومنهم طلاب فرنسيون مسلمون يتلقون هذه المعلومات الخاطئة. وهو اعتداء شنيع على معتقداتهم الدينية التي يتم تشويهها علناً ورسمياً في كتب التاريخ المدرسية. فأين حقوق الإنسان المسلم الفرنسي أو الأوربي؟ وأين احترام عقيدته وكتابه المقدس ونبيه المرسل؟

ومع كل محاولات الهيئات والمؤسسات الإسلامية الموجودة في أوربة والمنظمات الإسلامية العاملة في الحقل التربوي التي تعمل على تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية في الغرب، فما زال واضعو المقررات والكتب المدرسية في أغلب الدول الأوربية مصرين على تقديم صورة مشوهة للرسول الكريم ﷺ وينسبون إليه تأليف القرآن، مما يستدعي القيام بحملة توعية واسعة في الغرب ترتكز على الإقناع بالحجة والدليل لتصحيح هذه المعلومة المغلوطة[1].

ب- الحضارة العربية الإسلامية

في معظم كتب التاريخ المدرسية الأوربية يتم عرض الحضارة العربية الإسلامية بأسلوب غير مباشر؛ من خلال عرض حضارة البحر الأبيض المتوسط، أو من خلال عرض تأثر العلماء الأوربيين بالعلماء العرب المسلمين في الأندلس وصقلية بأسلوب فيه نوع من الالتواء، حيث يتم التركيز والإشادة بالحضارة المتوسطية والإشادة بالعلماء المسيحيين وبالفنون المعمارية المسيحية، ومن ثم يصبح المحور الأساس هو تألق الحضارة المتوسطية وليس الحضارة العربية الإسلامية. كما يتم اعتبار الحضارة الإسلامية حضارة ميتة ومندثرة، بعدما كانت متألقة في القرون الوسطى.

ويعدّ كتاب هاتييه (Hatier) للصف الأول الثانوي في فرنسة من أكثر الكتب المدرسية في أوربة اهتماماً بموضوع الحضارة الإسلامية، إذ أفرد لها فصلاً من أربع صفحات بعنوان (الإسلام حضارة متألقة متعددة سياسياً). ولكن القارئ يكتشف في متن النص أن الحديث يدور حول انهيار الحضارة الإسلامية حيث ورد أن "الإمبراطورية الإسلامية التي

---

[1] صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية في الغرب: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، 2004م، 16 .

كانت تسيطر على أغلب مناطق البحر الأبيض المتوسط، ضعفت وانقسمت في القرن الثاني عشر".

وفي الكتاب المدرسي الذي خصصه الناشر هاتييه (Hatier) الفرنسي للصف الثالث الإعدادي تم عرض الحضارة الإسلامية في حيز أضيق وبأسلوب غير مباشر؛ إذ أدمجها في الحضارة البيزنطية في الفصل المخصص لتاريخ العالم القديم تحت عنوان (بيزنطة والإسلام). وهذا الإدماج غير الصحيح يجعل التلميذ يقتنع بأن الحضارتين البيزنطية والإسلامية كانتا متألقتين في الماضي، ولكنهما انهارتا واندثرت معالمهما.

ج- فضل العلماء العرب المسلمين على النهضة الأوربية

مع أن بعض المقررات والكتب المدرسية الأوربية خاصة في إسبانية وإنجلترة وإيطالية تذكر أسماء العلماء العرب المسلمين في إطار الحديث عن تألق الحضارة والعلوم في منطقة البحر الأبيض المتوسط خاصة في الأندلس وصقلية، إلا أن معظم هذه الكتب تتفاوت في عرض دور العلماء العرب والمسلمين في قيام النهضة الأوربية، إذ إن بعضها اكتفى بذكر أسماء العلماء العرب المسلمين فقط، دون التفصيل في إبراز أهمية اكتشافاتهم واختراعاتهم، ودورها في انبثاق الحضارة الأوربية في عصر النهضة. وتوجد بعض الاستثناءات منها على سبيل المثال كتاب بورداس (Bordas) الذي ذكر أنه "في القرون الوسطى كانت علوم الطب والرياضيات والجغرافية وعلم الفلك متقدمة عند المسلمين بالنسبة إلى ما كان موجوداً في أوربة الغربية"[1]، وكتاب بالين (Balène) الذي ذكر تأثر اللغة الفرنسية باللغة العربية عادّاً ذلك إضافة أغنى العرب المسلمون

[1] كتاب بورداس للتاريخ: الصف الأول الإعدادي، طبعة 1997م، 34 .

بها الثقافة الفرنسية مشيراً إلى أن "هناك بعض الكلمات الفرنسية من أصل عربي مثل مخزن، أميرال، أرابيسك، وكذلك بعض الاختراعات انبثقت من الحضارة العربية الإسلامية مثل الجبر والأرقام والصفر..."[1].

ومن أبرز الكتب المدرسية تجاهلاً لفضل العرب المسلمين على الحضارة الأوربية كتاب هاتييه (Hatier) الفرنسي للصف الأول الثانوي الذي، بدلاً من الإشادة بالحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية ودورها في ازدهار الفنون والعلوم في منطقة البحر الأبيض المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي، اكتفى بسرد مظاهر تأثر العمارة الأوربية وبناء القصور والكنائس بالأسلوب البيزنطي الإسلامي دون التمييز بينهما.

ومع أن مؤلفي الكتاب وضعوا أحد الفقرات تحت عنوان (ما أخذته الثقافة الغربية عن العرب)، إلا أن ما قدموه من معلومات لا يعد اعترافاً بفضل العرب على الثقافة الأوربية، بل على العكس؛ قلل واضعو هذا الكتاب المدرسي من شأن الفيلسوف والعالم المسلم ابن رشد وجعلوه ناقلاً لفلسفة أرسطو مؤكدين أن "الفكر الإسلامي ظل حتى القرن الثاني عشر ينهل ويتغذى من معطيات الفلسفة والقانون الإغريقيين، وهكذا قام ابن رشد بالتعليق على أرسطو واقترح قراءة جديدة للإسلام"[2].

ويمكن القول إجمالاً بأن معظم الكتب المدرسية الأوربية المتعلقة بمادة التاريخ قد اهتمت أكثر بعرض النهضة الأوربية في القرن الخامس عشر وازدهار العلوم والفنون في أوربة. ففي كتاب هاتييه (Hatier) المذكور سلفاً خصص مؤلفوه لموضوع النهضة الأوربية 38 صفحة في حين لم يخصصوا سوى أربع صفحات فقط للحضارة الإسلامية، كما جاء ذكر العلماء الأوربيين في المجالات العلمية، ولكن لم تتم الإشارة إلى

---

1 كتاب بالين، الصف الأول الإعدادي، طبعة 1997م، 37 .

2 كتاب هاتييه، الصف الأول الثانوي، طبعة 2001م، 94 .

تأثرهم بالعلماء العرب المسلمين، بل تمت الإشارة فقط إلى العلماء الإغريق أمثال هيبوقراط، وجاليان في الطب وأرسطو في الفيزياء.

ومع أن من الثابت تاريخياً في جميع الموسوعات العلمية أن الأطباء الأوربيين الذين اشتهروا في عصر النهضة في القرن الخامس عشر قد نقلوا الكثير عن الأطباء العرب أمثال ابن رشد وابن النفيس وغيرهما، فإن الكتب المدرسية الغربية في أوربة وأمريكة تنسب اكتشافات العلماء العرب المسلمين إلى غيرهم من العلماء الأوربيين، بل لازال الاعتقاد سائداً في الغرب إلى اليوم أن الإنجليزي روجيه بيكون (1214-1294م) هو صاحب المنهج العلمي التجريبي، في حين أن الحقيقة هي أن جابر بن حيان قد استخدم قبله هذا المنهج منذ القرن التاسع الميلادي.

وسواء أكانت الكتب المدرسية الأوربية لم تذكر فضل العلماء العرب المسلمين على الحضارة الأوربية عن قصد أم من دون قصد، فإن مؤلفي هذه الكتب المدرسية قد أثبتوا من خلال تجاهلهم المتعمد لوقائع التاريخ أنهم يتجاهلون الآخر؛ أي يتجاهلون الإسلام وحضارته العريقة وإسهامات العلماء المسلمين في بناء الحضارة الأوربية، والحضارة الإنسانية بصفة عامة.

د- القوالب النمطية للشخصية المسلمة من خلال الكتب المدرسية في الغرب

تبدو ملامح الشخصية المسلمة في الكتب المدرسية في أوربة في قالب نمطي مشوه، يتم من خلاله تقديم المسلمين لطلاب المدارس الابتدائية والثانوية في صورة غزاة معتدين مدججين بالسيوف الثقيلة، ينشرون الرعب أين ما حلوا وارتحلوا، أو في صورة أشرار غلاظ يسرقون وينهبون وينشرون الفساد.

وتنشر أغلب الكتب المدرسية الأوربية صوراً فوتوغرافية منقولة من قصص وكتب مغامرات كتبها وتخيلها رهبان الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى، ليروجوا بها للحروب الصليبية. وعلى سبيل المثال نجد في كتاب (Hatier) لأحد صفوف المرحلة الثانوية بفرنسة صورة كبيرة بالألوان تحتل نصف الصفحة تقريباً تحت عنوان (المواجهة الدينية)، ويبدو فريقان من المتحاربين؛ من ناحية المسلمون يحملون السيوف الثقيلة ورؤوسهم عارية، وفي مقابلهم الصليبيون المدججون بالخوذات وبالدروع المعدنية وعلى الأرض توجد رؤوس القتلى من المسلمين. وتحت هذه الصورة كتب التعليق التالي: «كان الله معنا يقودنا فوصلنا أمام القدس.... وإذا أردتم أن تعرفوا ماذا فعلنا بالأعداء الذين وجدناهم هنا فاعلموا أنه تحت بوابة سليمان وفي معبده كان جنودنا يتشابكون معهم فوق الجياد التي تسبح في دم السارازان (المسلمين) حتى الركب».

وتتكرر باستمرار هذه القوالب النمطية عن المسلمين بتقديمهم في قالب الغزاة المتوحشين الذين يثيرون الرعب من حولهم، ويشكلون تهديداً مستمراً للمسيحيين.

وفي كتب التاريخ المدرسة في الولايات المتحدة الأمريكية تختلف القوالب النمطية قليلاً عن صورة المسلمين الغزاة المعتدين، حيث يتم تصويرهم في قوالب أخرى تنعت العربي المسلم بالشرير، مقابل راعي البقر الطيب الذي يمثله المواطن الأمريكي. وهكذا يمثل المسلمون في هذه الكتب رمزاً للشر، وهم عادة من العرب الذين يرتدون العباءة والكوفية من شيوخ وأثرياء يتسببون في ارتفاع الأسعار في الولايات المتحدة الأمريكية، ويشكلون خطراً على الغرب وهم (أعداء العالم مثيرو الحروب ويكرهون المسيحيين).

وقد خلص الباحث سليمان قناوي في دراسته عن صورة العرب

والمسـلمين في المنـاهج الدراسـية في أمريكـة إلى أن الملامـح الرئيسـية لصـورة العربي المسلم هي «رقص هز البطن، ولبـاس العـربي، والحجـاب للمـرأة، وآبـار النفط، وسيارات الليمـوزين الطويلـة، واللحيـة السـوداء الضـخمة، والنظـارات الشمسية السوداء»[1].

وبخصـوص الصـور النمطيـة للمسـلمين والعـرب داخـل منـاهج التعلـيم الأمريكيـة بعـد أحـداث 11 أيلـول/ سـبتمبر 2001م، رصـدت اللجنـة العربيـة لمكافحة التمييز (ADC) مجموعة من الصور النمطية السلبية السائدة، كـذلك في أوساط المجتمع الأمـريكي، وتنقسـم هـذه الصـور النمطيـة إلى المجموعـات التالية:

- صور نمطية عن العرب تنعـتهم براكبـي جـمال وعبيـد الرمـال، وأن كـل المسـلمين عـرب مـع اسـتعمال مكثـف لمفـردات القبيلـة، والبـدو، والواحـة والصحراء، والحريم والشيخ.

- صور نمطية عن العالم العربي على أنه (ساحة تنافس يعيش فيها الأبطال الغربيون مغامرات مثيرة في عالم قصص ألـف ليلـة وليلـة والجنيـات والبسـاط السحري).

- صور نمطية عن المسلمين على أنهـم (سـفاحون وإرهـابيون، ومحـاربون متطرفـون، ومغتصـبون ومضـطهدون للمـرأة، ويعتنقـون الجهـاد والحـرب المقدسة).

- صور نمطية عن الرجل العربي الذي ينظرون إليه على أنـه (شـبح نفـط، وثري جداً، مسرف ويريد شراء الولايات المتحـدة الأمريكيـة بمالـه، قـذر، وغـير متعلم، غير أمين، دكتاتوري...).

---

[1] سليمان قناوي: صورة العرب والمسلمين في أمريكة، مجلـة المعرفـة، الريـاض، 2003م، 56 .

- صور نمطية عن العرب الصالحين، وينظر إليهم على أنهم (شخصيات ثانوية، سلبيون مقارنة بالأبطال الغربيين).

- صور نمطية عن المرأة العربية المسلمة التي ينظر إليها على أنها (مضطهدة من الرجال العرب المسلمين)، وتقديمها في إطار (حريم مترفات وراقصات عاريات، أو سيدات جميلات يقعن في حب الرجل الغربي الذي ينقذهن من شر الرجل العربي المسلم).

وبخصوص صورة المرأة المسلمة في الكتب والمقررات الدراسية فقد تم التركيز على قالب المرأة المسلمة المحجبة أو المنقبة الخاضعة لزوجها. وغالباً ما يتم تقديم المرأة المسلمة على أنها كائن مهضوم الحقوق في المجتمعات الإسلامية، تُعامل مثل معاملة الأشياء، أو الأثاث، وأن النساء المسلمات يعملن خادمات أو مربيات مهمتهن الأساس هي إنجاب الأطفال.

وفي كتب التاريخ المدرسية بفرنسة لا تزال صورة المرأة المسلمة مشوهة، وتدرج داخل الفقرات الخاصة بشرح أسس العقيدة الإسلامية، إذ يرى مؤلفو هذه الكتب أن دونية المرأة في الإسلام هي من العقيدة الإسلامية، كما يؤكدون أنه يجب في الإسلام أن تخضع المرأة للرجل، الذي يجبرها على الاختفاء وراء الحجاب والمشي خلفه في الشارع. كما يدعون أن مكانة المرأة أدنى من مكانة الرجل في المجتمع وفي الأسرة، وفي الإرث والشهادة أمام المحاكم.

وإجمالاً فإن القوالب النمطية عن المسلمين لا زالت تشكل النقطة السوداء في معظم الكتب والمقررات المدرسية في الدول الأوربية والأمريكية، غير أنه تجدر الإشارة إلى أن المجلس الأوربي يهتم كثيراً بقضية القوالب النمطية في المناهج الدراسية، وقد أصدر عدة توصيات بخصوص ضرورة تصحيح هذه القوالب. وتبعاً لذلك قامت حكومات بعض الدول الأوربية بإصدار توجيهات للتربويين المسؤولين عن إعداد

المناهج الدراسية بهذا الخصوص، مثلما حدث في إيطالية حيث تم عام 2003م تعديل المناهج والمقررات الدراسية، بناء على توصيات وزارة التربية والتعليم، وتطبيقاً لمبدأ «تجنب القوالب النمطية والأفكار المسبقة بالنسبة إلى الأشخاص والثقافات»[1].

وفي وثيقة (تعهدات الرباط) الصادرة عن المؤتمر الدولي الذي عقدته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ومنظمة اليونسكو تحت شعار (من أجل مبادرات ملموسة لتفعيل الحوار بين الحضارات والثقافات) تمت دعوة الدول الأوربية إلى مراجعة مناهجها الدراسية، وتفادي الإفراط في التبسيط، وتنمية الوعي بالاختلاف الثقافي وبأبعاده المتعددة وبمصادره وإسهاماته المختلفة، كما تم تأكيد وجوب توافر البرامج التعليمية على القدر الكافي من المعلومات، ولا سيما لإفادة الشباب، حول الأديان السماوية الثلاثة، وإبراز القيم والقضايا الأخلاقية المشتركة بينها مع النهل من تاريخ شعوب دول الجنوب، وفي مقدمتها الدول الإسلامية[2]. وأوصى المؤتمر المذكور، بضرورة تشجيع إصدار تشريعات وطنية، ووضع معايير أو آليات معيارية دولية للحد من تشويه صورة الآخر في المقررات الدراسية. كما دعا إلى مواصلة إعداد دراسات حول الصور المختلفة في الكتب المدرسية عن ثقافة الآخر واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتصحيحها، وإنشاء مراصد حول الكتب المدرسية لرصد النمطية ومظاهر الإجحاف والمغالطات والمفاهيم الخاطئة في مختلف المواد الدراسية، والقيام بالتدابير اللازمة لتصحيحها.

ومن المرجح أن أسباب انتشار هذه المفاهيم الخاطئة في الكتب

---

1 Gian France Garattan: L’imagime dell atro nei manuali, di storia tunisini e italiani, IRRE liguria, geneva, 2004.

2 وثيقة (تعهدات الرباط): الإيسيسكو واليونسكو، المؤتمر الدولي لتفعيل الحوار بين الثقافات، الرباط، 14-16 حزيران/ يونيو 2005م، 4 و5 .

والمقـررات الدراسـية في الغـرب حـول الإسـلام والمسـلمين ورمـوزهم الدينيـة المقدسة وحضارتهم العريقة - ناتج عـن أحكـام مسـبقة تـرتبط ارتباطـاً وثيقـاً بـالحروب الصـليبية وتـاريخ الإمبراطوريـة العثمانيـة والدراسـات الاسـتشراقية، والحروب الاستعمارية مع بداية القرن العشرين، والحملات الإعلاميـة الموجهـة ضد الثقافة العربية الإسـلامية والمـدبرة تخطيطـاً وتنفيـذاً وتمـويلاً مـن طـرف الحركة الصهيونية العالمية[1].

ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامي يتحمل بدوره جانباً مـن المسـؤولية في انتشار هذه المفاهيم الخاطئة في الكتـب والمقـررات الدراسـية في الغـرب عـن الإسلام، ويتمثـل ذلـك في تقـاعس المسـؤولين ورجـال الفكـر والإعـلام في العـالم الإسلامي عن تكثيف الجهود وتوحيـدها لبنـاء خطـة عمـل محكمـة لتصـحيح هذه المفاهيم الخاطئـة، بالتعـاون مـع المـنظمات الإقليميـة والدوليـة المهتمـة بشؤون التربية والثقافة، ومخاطبة العالم الغربي بمنطقه وبلغته وأسلوب تفكيره المستند إلى مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والتنوع الثقافي واحترام الآخـر، لإقناعه أن عدم الاهتمام بتصحيح الأخطاء التي تشوه صورة العرب والمسـلمين والإسلام في الكتب المدرسية مـن شـأنه أن يسـهم في اسـتمرار أجيـال متشـبعة بالعنصرية واحتقار الآخر، مما يهدد السـلام والأمـن العـالميين ويشـيع الخـوف وعدم الثقة وانعدام الفهم والتفاهم بين شعوب العالم.

هـ- شعيرة الحج وموضوع الجهاد

من بين المواضيع التي اهتمت بها الكتب والمقررات المدرسية في

---

[1] د. مصطفى الحلـوجي: خطـة تصـحيح صـورة الثقافـة العربيـة الإسـلامية في الكتـب المدرسية عبر العالم، ورقة عمل مقدمة في المؤتمر الدولي (من أجـل مبـادرات ملموسـة لتفعيل الحوار بين الحضارات والثقافات)، الرباط، 14-16 حزيران/ يونيو 2005م .

أوربة شعيرة الحج، بالنظر إلى خصوصياتها الدينية والثقافية والاجتماعية، وموضوع الجهاد بالنظر إلى حمولته الفكرية العقدية ودلالاته السياسية.

لقد حظي موضوع الحج في بعض الكتب المدرسية الأوربية بتناول اختزالي مجحف؛ حيث لم يتم تقديم هذه الشعيرة الإسلامية المهمة بالشرح والتحليل لأهدافها السامية ومعانيها الروحية النبيلة المجسدة للمساواة والتحرر من القيود. فقد أورد كتاب هاشيت (Hachette) للتاريخ في فرنسة[1] شرحاً بسيطاً للحج في ثلاثة أسطر، في حين خصص بقية الصفحة لسرد أرقام ومبالغ مالية ضخمة تخصصها حكومة المملكة العربية السعودية لمعدات الخيام لحجاج بيت الله الحرام. وفي هذا الصدد يقول الكتاب المذكور: «هناك طائرات نقل ضخمة تهبط في مدينة جدة تحمل الحجاج الذين يلجؤون إلى الظل الظليل تحت خيام هائلة تستخدم محطةَ ركاب في الميناء، وهذه الخيام قام بتصنيعها مهندسون وخبراء ومتخصصون توجد مكاتبهم في نيويورك وشيكاغو، في حين تولت شركة ألمانية تركيب هذه الخيام الضخمة في بداية الثمانينيات وكلفت هذه المعدات المكيفة الهواء، 92 مليون دولار بالإضافة إلى 650 مليون دولار لتشغيلها، وهي تسع خمسة آلاف حاج في الساعة، ويمكن أن يعتمر فيها أكثر من ثمانين ألف حاج في الوقت نفسه».

وفي هذا الوصف تشويه مقصود لشعيرة الحج، إذ إن الهدف من وراء سرد هذه الأرقام والمبالغ الضخمة هو تصوير الحج على أنه مجال لصفقات تجارية بملايين الدولارات تقوم بها شركات غربية من أمريكة وألمانية.

---

[1] Christian Bouvet et Jean Michel Lambin, Histoire et géographie, classe de 4ème Hachette, Paris, 1998, P.267.

ولا تتحدث بعض الكتب المدرسية الفرنسية للتاريخ عن شعيرة الحج، وإنما تتحدث عن الكعبة بوصفها المكان المقدس الذي يحج إليه آلاف المسلمين كل سنة. ولكن هذه الكتب لا تقدم المعلومات الصحيحة عن الكعبة، بل تذكر فقط بعض المعتقدات الشعبية المتداولة بين العامة عن الحجر الأسود، والادعاء بأن (الملاك جبرائيل هو الذي أعطى إبراهيم الحجر الأسود).

أما موضوع الجهاد فقد أولته معظم كتب التاريخ المدرسية في الغرب الأوربي والأمريكي اهتماماً ملحوظاً، حيث تقدمه على أنه من الأسس الثابتة التي ترتكز عليها العقيدة الإسلامية، وتعدّه مصطلحاً يعني الحرب المقدسة التي يتم بموجبها الاعتداء المسلح للمسلمين على غير المسلمين لإدخالهم في دينهم. وتربطه أحياناً أخرى بالإرهاب والعنف والتطرف. ويؤكد هذا المنظور المغلوط للجهاد رئيس المجلس الأمريكي للمناهج الدراسية في تقريره عن (الإسلام والمناهج الدراسية) الذي استند في صياغته إلى تفسيرات المستشرق الأمريكي اليهودي المشهور برنارد لويس وأطروحاته. وهكذا نجد أن التقرير المذكور يحدد مفهوم الجهاد في الإسلام بأنه «واجب ديني يجب أن يستمر حتى يعتنق العالم كله الإسلام أو يخضع للحكم الإسلامي... وأن هدف الجهاد هو إدخال العالم كله تحت حكم القانون الإسلامي»[1].

ولاحظت الدكتورة فوزية العشماوي في دراستها المذكورة سلفاً[2] أن معظم كتب التاريخ المدرسية في أوربة تستخدم عناوين بارزة عن الجهاد

---

[1] تقرير المجلس الأمريكي للمناهج الدراسية: الإسلام والمناهج الدراسية، مطبوعات المجلس الأعلى للمناهج الدراسية، كولومبية، 2003م، 9 .

[2] د. فوزية العشماوي: الإسلام في المناهج الدراسية الأوربية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2004م .

في الإسلام مثـل (الحـرب المقدسـة) أو (الحـرب الدينيـة)، ويـتم بـذلك تضـليل التلاميذ والإيحاء لهم أن الجهاد حرب دينية مطلقة.

ومن بين الكتب المدرسية الغربية التي تعطي تفسيراً مضـللاً عـن الجهـاد يوجد كتاب التاريخ (مانيـار) في فرنسـة الـذي يـذكر أن «الرسـول محمـد أمـر المسلمين بالجهاد حتى يدخل غير المسلمين في الإسلام». كما أن أغلبيـة الكتـب المدرسية الغربية تذكر الآيات القرآنية التي تتحـدث عـن الجهـاد بترجمـة غـير دقيقة ودون ذكر صاحب الترجمة؛ إذ غالباً مـا تكـون ترجمـة الآيـات القرآنيـة بقلم مؤلفي الكتب المدرسية، وكثيراً ما يتم ذكر الآية التي تتحدث عن الجهـاد دون ذكر النصف الآخر الذي يكمل المعنى ويـفسره. وفي هـذا الصـدد جـاء في كتاب التاريخ للصـف الثـاني، طبعـة ناتـان (Nathan) لسـنة 2001م ذكـر الآيـة التالية {قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللـهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللــهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُـوا الْجِزْيَـةَ عَـنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) } [التوبة: 29/9].

لقد قـدم الكتـاب المـذكور هـذه الآيـة دون شرح أو تعليـق أو إشـارة إلى السياق العام الذي نزلت فيه، وينتج عن ذلـك أن الطـلاب يفهمـون أن اللــه يأمر المسلمين بقتل غير المسلمين حتى يدخلوا في الإسلام.

وفي كتاب التاريخ للصف الخامس طبعة (منيـار) 2001م ورد أن «محمـد يأمر المسلمين بقتال غير المسلمين بالجهـاد»، ويضـيف كتـاب هاتيـه (Hatier) للصف الخامس طبعة 2001م أن «محمد هـاجم مكـة». ولم تقـدم إلى جانـب ذلك أي تعليقات أو شروح لتوضيح سياق هذه الأحداث التي كان فيها الجهاد للدفاع. وهكذا فإن الطلاب يفهمون مما قدم إليهم مـن معلومـات ناقصـة أن المسلمين قتلة ومتعطشون للدماء وأن الإرهاب مشروع في الإسلام.

وقد تجاهل واضعو هذه الكتب المدرسية لمادة التاريخ ومؤلفوها أن مصطلح الجهاد يعني في اللغة العربية بذل الجهود ليكون الإنسان مفيداً لنفسه وأسرته ووطنه، أياً كان الوطن داخل العالم الإسلامي أو خارجه. كما تجاهلوا أن الجهاد في القرآن هو بذل الجهد العقلي في حوار الآخر، طبقاً لآداب الحديث في الإسلام استناداً إلى قوله تعالى: {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان: 52/25] .

إن معظم كتب التاريخ المدرسية في أوربة اتفقت على أن الجهاد هو الحرب المقدسة أو الكفاح في سبيل نشر الإسلام، ومن ثم أغفلت أن الجهاد في الإسلام نوعان: جهاد أكبر؛ ويكون ضد النفس ويسعى إلى تهذيبها وتوجيهها نحو الخير والفضيلة، وجهاد أصغر؛ ويكون في سبيل الله لنشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وليس بالعنف والعدوان. ولا يعني الجهاد في سبيل الله البدء بالعدوان، بل رد هذا العدوان والدفاع عن النفس من مخاطره حيث إن الله عز وجل نهى المسلمين عن البدء بالعدوان: {وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: 190/2].

- سبل تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في المقررات والكتب المدرسية في الغرب

بالرغم من انتشار ظاهرة تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الكتب والمقررات المدرسية في الغرب (أوربة وأمريكة)، فإن ذلك لم يمنع من ظهور مبادرات سياسية وأكاديمية سعت إلى دراسة الظاهرة، والحد من آثارها السيئة، وكشف تناقضها وتعارضها مع الممارسات والشعارات المنادية باحترام حقوق الإنسان واحترام التنوع الثقافي وتشجيع التسامح بين الأديان السماوية وتفعيل الحوار بين شعوب العالم.

ومن بين تلك المبادرات الجادة والهامة على الصعيد الأوربي ما قام به المجلس الأوربي منذ العقد الأخير من القرن العشرين، إذ أولى اهتماماً

خاصاً لقضية توحيد المناهج الدراسية لمادة التاريخ في دول الاتحاد الأوربي، كما اهتم بوجه خاص بتنقية تلك المناهج والكتب والمقررات المدرسية الأوربية من القوالب النمطية السلبية والشوائب التي تسيء إلى كل من المسلمين واليهود.

وفي هذا الصدد عقد المجلس الأوربي عدة مؤتمرات وندوات لمعالجة هذه القضية الشائكة، وأصدر قرارات وتوصيات في غاية الأهمية، تتسم بالموضوعية والرغبة الصادقة في التصحيح وفي إدراج الحقائق التاريخية الثابتة، وخاصة فضل الحضارة الإسلامية وفضل العلماء العرب المسلمين على النهضة الأوربية.

ومن بين هذه المؤتمرات نذكر مؤتمر الحوار العربي-الأوربي تحت عنوان (صورة الثقافة العربية الإسلامية في كتب التاريخ المدرسية في أوربة)[1] الذي شارك فيه العديد من أساتذة الجامعات العربية والأوربية، وحضره مسؤولون في بعض وزارات التعليم الأوربية، ودور النشر المدرسية الأوربية، والعديد من العلماء والشخصيات العربية والأوربية. وقد شملت الأبحاث المقدمة خلال هذا المؤتمر كتب التاريخ المدرسية الأوربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية حيث تم إثبات وجود العديد من الأخطاء الفادحة.

وتم الاتفاق خلال هذا المؤتمر على وجوب التصدي لعملية العداء للإسلام، وتصحيح الأخطاء والصور النمطية التي تشوه صورة العرب والمسلمين والإسلام وحضارته في الكتب المدرسية الأوربية والغربية

---

[1] عقد هذا المؤتمر بالقاهرة خلال المدة 12-14 كانون الأول/ ديسمبر 2004م، ونظمته جامعة الدول العربية بالتعاون مع المكتب الإقليمي لليونسكو بالقاهرة والمجلس الأوربي ومنظمة الإيسيسكو والمعهد السويدي بالإسكندرية واللجنة الوطنية المصرية لليونسكو والإيسيسكو بالتعاون مع سفارتي المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة .

عموماً، باعتبار تلك الأخطاء تـؤدي إلى مشـاعر الكراهيـة بـين الشـعوب، وإلى إشعال نار الحروب وانعدام السلم.

ومما لا شك فيه أن تطبيق التوصيات الرامية إلى تنقيح مناهج التاريخ وتوحيدها في المؤسسات التعليمية بدول الاتحاد الأوربي سيقدم خدمة كبيرة للدارسين والمتتبعين لهذا الموضوع، إذ سيكون من السهل الاطلاع على هذا المنهج الموحد وتكثيف الجهود عليه في لغة واحدة، وتكليف لجنة من الخبراء المسلمين المتخصصين بالاطلاع على هذا المنهج الموحد قبل نشره وتوزيعه، وإدخال التعديلات عليه بالاتفاق مع المسؤولين التربويين وأصحاب دور النشر الكبرى في أوربة.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية توجد هيئة حكومية مستقلة هي المجلس الأمريكي للمناهج الدراسية (American Texbook Council) الذي تم إنشاؤه في نيويورك عام 1988م، ويتولى مراجعة محتويات كتب التاريخ المدرسية لتتوافق مع القيم الغربية. كما توجد هيئة إسلامية مستقلة لمراقبة كل ما يذكر عن الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية الأمريكية ومراجعته ورصده تسمى المجلس الإسلامي للتربية (Council on Islamic Education) التي تم إنشاؤها عام 1989م في كاليفورنية. وقد ازداد نشاط هذا المجلس بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م بصورة كبيرة، وقد قام باتصالات مكثفة مع أصحاب دور النشر الكبرى التي تتولى طباعة كتب التاريخ المدرسية لإقناعهم بحذف المقاطع التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين، وتعديل بعض المصطلحات والمفاهيم لتتناسب مع المفاهيم الإسلامية خصوصاً ما يتعلق بالجهاد والخلافة وحقوق المرأة.

وقد تفهم الناشرون الأمريكيون وجهات نظر المجلس الإسلامي للتربية، وقاموا بحذف بعض المقاطع التي تسيء إلى الإسلام والمسلمين،

مما أغاظ اللوبي اليهودي في كاليفورنية فأعد تقريراً اشتكى فيه من أن كتب التاريخ المدرسية في سانتا روزا بكاليفورنية أصبحت تدرس المصطلحات الإسلامية وفقاً لما يكتبه المجلس الإسلامي للتربية في موقعه بالإنترنيت، وأنها تعرض صراع الشرق الأوسط من وجهة نظر الفلسطينيين.

ويؤكد هذا المثال الدور الفاعل الذي يمكن للمنظمات والجمعيات الثقافية الإسلامية في الغرب أن تقوم به في مجال تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في المقررات والكتب المدرسية الغربية، آخذين بعين الاعتبار المكانة الرفيعة التي تتبوأها مؤسسات المجتمع المدني في الدول الغربية والاحترام والتقدير الذي تحظى به من طرف المواطنين.

ويتطلب هذا الأمر من وزارات التربية في العالم الإسلامي والمعاهد المتخصصة والمنظمات الإقليمية والدولية كاليونسكو والإيسيسكو والألكسو متابعة الموضوع بالجدية اللازمة، حتى يتم إقناع مؤلفي الكتب المدرسية في الدول الأوربية والأمريكية بالأبعاد العلمية والثقافية والأخلاقية والسياسية والأمنية لمسألة تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في هذه الكتب والمقررات.

لقد أصبح من الضروري أن تعمل كل الجهات المعنية بالموضوع في العالم الإسلامي في إطار خطة عمل جماعية محكمة، توظف أحدث تقنيات الاتصال المباشر والدبلوماسية الفعالة وتستخدم تقنيات المعلومات والاتصال لتذكير مصادر القرار التربوي في أوربة وأمريكة، من حكومات وقطاع خاص، ببعض الحقائق التاريخية الملموسة التي تعمدوا نسيانها وأغفلوا ذكرها في كتبهم ومقرراتهم المدرسية. ومن أهم تلك الحقائق التي يجب أن يعرفها الطلاب في الدول الأوربية والأمريكية ليشبوا على احترام الآخر؛ أي المسلم، واحترام معتقداته الدينية والثقافية المختلفة للتعايش معه سلمياً، نذكر ما يلي:

* ظهور الإسلام والنصرانية في منطقة واحدة من العالم، هي منطقة الشرق الأوسط وبإرادة من إله واحد أحد.

* اعتراف الإسلام اعترافاً صريحاً وواضحاً باليهودية والمسيحية وبالتوراة والإنجيل، في حين يرفض اليهود والمسيحيون الاعتراف رسمياً بالإسلام ديناً سماوياً وبالقرآن الكريم كتاباً منزلاً.

* إشادة القرآن الكريم بالأنبياء عليهم السلام موسى وعيسى دون التفريق بينهما وبين محمد ﷺ، بل إن القرآن الكريم ذكر اسم موسى وعيسى مئات المرات ولم يذكر اسم محمد ﷺ إلا ثلاث مرات.

* اعتراف الإسلام بمريم العذراء وبمعجزات المسيح في ولادته ورفعه إلى السماء.

* احترام الإسلام لليهود والمسيحيين واعتبارهم أهل الكتاب، وعدم إجبارهم على اعتناق الإسلام بالقوة مصداقاً لقوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256/2] .

* وجود مئات الآلاف من اليهود والمسيحيين في الدول العربية والإسلامية يعيشون في أمن وسلام، ويتمتعون بحقوقهم المدنية والدينية كافة.

وإجمالاً يمكن القول بأن تصحيح صور الإسلام والمسلمين في الكتب والمقررات المدرسية يتطلب من الغرب شجاعة أدبية وإرادة صادقة، تجعله يتخلص من أثر الموروث التاريخي المترسب في وعي أفراده ومواطنيه منذ قرون خلت، ويتمكن من النظر إلى الإسلام والمسلمين نظرة موضوعية وعقلانية تتغلب على الأنماط والقوالب المتجمدة عن الإسلام والمسلمين.

إن من بين الحلول المثلى في هذا الصدد إرساء الحوار مع الأوربيين والأمريكيين على المستويات كافة؛ فالإسلام دين حوار ويدعو إلى الحوار

خاصة مع أهل الكتاب كما جاء في قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [آل عمران: 64/3] . ولذلك يمكن تعزيز الجهود الرامية إلى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الكتب والمقررات المدرسية في أوربة وأمريكة من خلال تعميم الحوار، وجعله حواراً رسمياً مع الهيئات والمؤسسات على المستوى الحكومي، وعلى مستوى المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية العاملة في مجال حقوق الإنسان والتربية في كل دولة من الدول الغربية.

كما يكون مفيداً في هذا المسعى، تكثيف التعاون مع الهيئات الدولية العاملة في مجال التربية والتعليم التابعة للأمم المتحدة (اليونسكو)، أو لمنظمة المؤتمر الإسلامي (الإيسيسكو)، أو لجامعة الدول العربية (الألكسو)، وكذلك المنظمة العالمية للفرانكوفونية، وغيرها من هذه الهيئات الدولية التي بإمكانها الضغط والتأثير في هذا المجال[1].

وعلى المستوى المؤسساتي، يمكن إنشاء مجلس تربية إسلامية في كل دولة أوربية على غرار مجلس التربية الإسلامية في كاليفورنية بالولايات المتحدة الأمريكية، تكون مهمته تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية، والاتصال المباشر بدور النشر المسؤولة عن طباعة كتب التاريخ المدرسية التي يتم تدريسها للتلاميذ في المدارس الحكومية، وإقناعهم بشأن تعديل الفقرات التي تسيء إلى الإسلام والمسلمين وتغيير بعض الصور، وإمدادهم بصورة وبيانات حديثة عن المسلمين.



[1] د. فوزية العشماوي: المرجع السابق، 46 .

1-2 الغرب والإسلام وتفاعل الحضارات

- تفاعل الحضارات من المنظور الغربي: نظرية صموئيل هنتنغتون نموذجاً

انشغل الباحثون وخبراء الدراسات الاستراتيجية في الغرب بوضع التصورات وصياغة الأفكار والسياسات لمرحلة ما بعد الحرب الباردة. ومنذ نهاية عقد الثمانينيات من القرن العشرين، شهد العالم زخماً من الكتابات والدراسات والمواقف السياسية سعت جميعها إلى ملء الفراغ الإيديولوجي الذي نتج عن انهيار الاتحاد السوفييتي وتفكك الكتلة الشيوعية[1].

ومن أبرز المفكرين والمنظرين في هذا الصدد نذكر على سبيل المثال لا الحصر (فرانسيس فوكوياما) و(صموئيل هنتنغتون) اللذين أثارت أطروحتهما حول نهاية التاريخ وصراع الحضارات موجة عارمة من الاهتمام والدراسة والنقد. وقبل عرض أهم مرتكزات أطروحتي فرانسيس فوكوياما وصموئيل هنتنغتون، يمكن القول إن أسباب ووقائع تقديمهما للعالم بصفة عامة، وللمجتمع الأمريكي بصفة خاصة، تعود إلى أن قادة الرأي والفكر السياسي ومراكز السيطرة العسكرية والأمنية في الولايات المتحدة الأمريكية - أدركوا حاجتهم إلى رؤية استراتيجية فلسفية تحدد مسار العالم في إطار ما اصطلح عليه النظام العالمي الجديد في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، خصوصاً وأن قيام الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن مستنداً إلى خلفية حضارية وإيديولوجية ونظرة متكاملة إلى الحياة والوجود، بخلاف الإمبراطوريات والدول الكبرى في أوربة

---

[1] محمد محفوظ: الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1998م، 132 .

والهند والصين وبلاد فارس ومصر واليونان والرومان ودول العالم الإسلامي.

إن أطروحتي فرانسيس فوكوياما حول نهاية التاريخ وصموئيل هنتنغتون حول صراع الحضارات، تمثلان تـأطيراً للرؤيـة الأمريكيـة الجديـدة بعـد مرحلـة الحرب الباردة، وتسويغاً لتمرير قرارات أمريكية، وليستا نتائج دقيقة لدراسات علميـة تسـعى إلى ترسـيخ المفـاهيم الحضـارية القائمـة عـلى الحريـة والعـدل والمساواة[1]. لقد جنـدت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، باعتبارهـا ممثلـة العـالم الرأسـمالي الليـبرالي في مواجهـة الاتحـاد السـوفييتي ممثـل النظـام الاشـتراكي الشيوعي، جميع القوى السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية. وبعد القضاء عليه جاءت هاتان الأطروحتان لتحقيق هدف واحد مشترك هو تأكيد استمرار الصراع من أجل سيطرة النظـام الرأسـمالي بصـفة عامـة، والهيمنـة الأمريكيـة بصفة خاصة. وقد وظفت في ذلك الأطروحتان وجهين متباينين لمسيرة التـاريخ؛ أحدهما نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما والثانية صراع الحضارات لصـموئيل هنتنغتون.

في أوائل سنة 1992م أصدر المفكـر الأمـريكي الجنسـية اليابـاني الأصـل فرانسيس فوكوياما رئيس دائرة التخطيط السياسي السابق بوزارة الخارجيـة الأمريكيـة كتابـه (نهايـة التـاريخ). ويـرى فوكويامـا في كتابـه المـذكور[2] أن النظام الديمقراطي الليبرالي هو أقصى ما يمكن أن يبلغـه المجتمـع السـياسي في المسـتقبل في سـائر أنحـاء العـالم، معلـلاً رأيـه باعتبـارات فلسـفية

---

[1] عن بحث للأستاذ الدكتور عبد اللـه بن صالح العبيد، عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية قدمه خلال مؤتمر باريس للمنظمات الخيرية والإنسانية بتـاريخ 9-10 كانون الثاني/ يناير 2003م .

[2] فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ، ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشـيخ، دار العلـوم العربية، بيروت، 1993م .

استعار بعضها من أفكار الفيلسوف الألماني (هيجل) عن حركة التاريخ، مؤكداً أن النظام الليبرالي خلافاً لسواه يتمتع بالقدرة على الصمود في وجه تهديد العقائد والإيديولوجيات، معتبراً أن الديمقراطية الليبرالية قد انتصرت وأن ذلك الانتصار يشكل نهاية التاريخ. كما ادعى أن ما وصلت إليه البشرية من تقدم في ظل النظام الليبرالي والمنجزات الرأسمالية هو نهاية التجارب الإنسانية، وأن ما سبقه من تجارب اضمحل بسبب إخفاقها في البقاء[1].

غير أن فرانسيس فوكوياما تراجع فيما بعد عن رؤيته المتفائلة إذ قال بضرورة وحدة أوربة وأمريكة لأنها وحدة حتمية، ولكن هذه الوحدة تعترضها عقبة كبرى تتمثل في السياسة الأمريكية الجديدة الساعية إلى الهيمنة على دول العالم بما فيها الدول الأوربية، والانفراد بالقرار وتجاهل القانون وإرادة المجتمع الدولي. وقد ناقش فرانسيس فوكوياما في محاضرة له بمدينة ميلبورن الأسترالية صيف عام 2005م أفكار المعارضين لأطروحته حيث قال إن العالم الآخر؛ أي العالم الإسلامي، هو الكيان المفكك البعيد عن مفاهيم العصر وليس له حضور أو تأثير في الساحة الدولية، ومن ثم فإن مصيره محاط بالشكوك. وأشار إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية وجدت بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، المساندة من كل دول العالم دون استثناء في الحرب على (الإرهاب)، وأكد أنه مع ظهور النيات الأمريكية لاستغلال هذه الحرب لفرض هيمنتها العسكرية والسياسية بدأت تتصاعد تيارات العداء للولايات المتحدة الأمريكية، مما غير مسار الأحداث لأن نهاية التاريخ تعني انتصار الحضارة الغربية، وليس انتصار الولايات المتحدة الأمريكية وحدها.

---

[1] محمد السماك: موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1995م، 150 .

أما صموئيل هنتنغتون فيعد واحداً من المفكرين الـذين شـغلوا الأوسـاط العلمية في العصر الحديث، ليس بسـبب نظريتـه الشـهيرة (صراع الحضـارات) ومقالاته ومواقفه، وإنما لكونـه مـن أبـرز المفكـرين الاسـتراتيجيين في أمريكـة الذين صاغوا إيديولوجية لملء الفراغ النظري لمرحلة مـا بعـد الحـرب البـاردة، والتي كانت موضع جدل لمرحلة ما بعـد الحـرب البـاردة مـن خـلال أطروحـة صراع الحضارات، والتي كانت موضع جدل أخلاقي وفلسفي وديني وسياسي[1].

ويحدد هنتنغتون رؤيته بخصوص صراع الحضارات في القول بـأن النظـام الدولي السابق كـان يقـوم عـلى صراع بـين ثـلاث قـوى رئيسـة هـي: الولايـات المتحدة الأمريكية والاتحاد السـوفييتي والعـالم الثالـث، في حـين يقـوم النظـام الـدولي الجديـد عـلى صراع بـين ثمـاني حضـارات هــي: الحضــارة الغربيــة والكونفوشيوسـية والهندوسـية واليابانيـة والأمريكيـة اللاتينيـة والأرثوذكسـية السلافية والحضارة الإسلامية، ويمكن في اعتقاده إضافة الحضارة الإفريقية.

ويـرى هنتنغتـون أن الانـتماء إلى حضـارة مـا يتعـدى الفـوارق الإثنيـة والحـدود الوطنيـة، كـما أن الحضـارات الـثماني المـذكورة سـلفاً تختـزن الصراع المستقبلي، ومن ثم فإن حروب المستقبل سيكون سببها صراع بـين الحضـارات، وخاصـة بـين الحضـارة الإسـلامية والحضـارات الأخـرى. ورأى أن الحضـارتين الإسلامية والكونفوشيوسية لن تتمكنا من الاندماج في الحضارة الغربية، ولذلك فإن الصراع بينهما وبين الحضارة الغربية صراع حتمي.

وتقوم فرضية هنتنغتون ورؤيته لصراع الحضارات على أن الثقافة أو الهوية الثقافية الحضارية والتي في أوسع معانيها الهوية الحضارية، هـي

---

[1] محمد السماك: المرجع السابق، 153 .

التي تشكل نماذج التماسك، والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة، كما أن «أكثر الصراعات انتشاراً وأهمية وخطورة لن تكون بين طبقات اجتماعية غنية وفقيرة، أو جماعات أخرى محددة على أسس اقتصادية ولكن بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة»[1].

ويعتقد هنتنغتون أن الغرب سيبقى الحضارة الأقوى، وسيكون بإمكانه مع مطلع الألفية الثالثة أن يستمر في زيادة البحث العلمي، وتنمية المهارات، وتطوير قدراته التقنية المدنية والعسكرية.

وفي حديثه عن علاقات الحضارة الغربية بالحضارات الأخرى في إطار ما أسماه (عالم الحضارات) يرى أن هذه العلاقات لن تكون وثيقة، بل ستكون غالباً علاقات عدائية خصوصاً بالنسبة إلى العلاقات بين الحضارات المتداخلة والمتقاربة جغرافياً، إذ سيغلب العنف على علاقات الإسلام بجيرانه الأرثوذكس والهندوس والأفارقة والمسيحيين الغربيين. كما أن التقسيم بين الغرب والشرق في رأيه، سيكون مرتبطاً بصراعات شديدة بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات الآسيوية من جهة، والمجتمعات الغربية من جهة أخرى، ومن المحتمل أن تنبع صدامات خطيرة في المستقبل عن التفاعل بين العجرفة الغربية وعدم التسامح الإسلامي والإصرار الصيني[2].

وبناء على معيار العداء صنف هنتنغتون طبيعة العلاقات بين الغرب والحضارات الأخرى في ثلاثة تصنيفات هي:

- الحضارات المتحدية وهي الحضارتان الإسلامية والصينية اللتان سيكون للغرب معهما علاقات متوترة وعدائية.

---

[1] صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة د. مالك عبيد أبو شهيوة، ود. محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1999م، 16 .

[2] صموئيل هنتنغتون: المرجع السابق، 23 .

- الحضارات الضعيفة وهي حضارة أمريكة اللاتينية وإفريقية المعتمدة على الغرب.
- الحضارات المتأرجحة وهي الحضارة الروسية واليابانية والهندوسية والتي ستتأرجح بين الحضارة الغربية والحضارتين الإسلامية والصينية.

ومن القضايا الجوهرية التي يعدّها هنتنغتون في نظريته أساسَ الخلاف بين الحضارات هناك المحافظة على التفوق العسكري للغرب، وتعزيز القيم والمؤسسات السياسية الغربية كاحترام حقوق الإنسان من وجهة نظر غربية، وتبني الديمقراطية الغربية، وحماية الوحدة الإثنية الثقافية والاجتماعية الغربية. ومن ثم يدعو هنتنغتون الغرب إلى استعمال كل الوسائل الكفيلة بضمان تفوقه العسكري والتقني والاقتصادي على الحضارات الأخرى، والعمل على تهميش هذه الحضارات وإضعافها وإحكام السيطرة عليها وجعلها تابعة للحضارة الغربية.

من هذا المنطلق سعت نظرية صراع الحضارات، على المستوى السياسي والثقافي والإيديولوجي والإعلامي، إلى إقناع الشعوب الغربية بضرورة وأهمية نسف المقومات الروحية والعقدية والثقافية للحضارات الأخرى وتهميشها واحتقارها وتشويه صورتها. ولتحقيق هذا الإقناع واكتساب المؤيدين لنظرية صراع الحضارات وظف هنتنغتون خطاباً نظرياً يستند إلى منطق معين وآليات محددة، يمكن تلخيصها في أربع آليات رئيسة على النحو التالي:

الآلية الأولى : الديانة هي المعيار الأساس للتمييز بين الحضارات. وفي هذا الصدد يقول هنتنغتون بأن الديانة هي الخاصية الأساسية في التعريف بالحضارات الثماني التي سبق ذكرها، ومن ضمنها الحضارة الإسلامية.

الآلية الثانية : حتمية صراع الحضارات. وهي فرضية تقول إن الصراع

بين القوى العظمى قد حل محله صراعُ الحضارات، وإن الدول القومية تظل الوحدات الرئيسة القائمة في الشؤون الدولية. ويتشكل سلوك هذه الدول من خلال سعيها نحو امتلاك القوة والثروة والاختيارات والاتفاقيات والاختلافات الثقافية. وتبعاً لذلك يعتقد هنتنغتون بأن النظام الدولي للقرن الواحد والعشرين سوف يشتمل على سبع أو ثماني قوى رئيسة، وأن السياسات المحلية هي سياسات عرقية، في حين أن السياسة العالمية هي سياسات حضاراتية، ومن ثم فإن الصراع بين القوى العظمى قد حل محله صراع الحضارات، إذ سيكون مجال الصراع والصدام في المستقبل مرتبطاً بالهوية الحضارية والثقافية وليس الإيديولوجية والاقتصاد.

الآلية الثالثة : الإسلام هو العدو الأول. وفي هذا الإطار يرى هنتنغتون أن الصراعات المقبلة ستكون بين الحضارة الغربية من جهة والحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية أو الصينية من الجهة الأخرى. ويستند في ذلك إلى أن أربعة عشر قرناً أثبتت أن العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت غالباً عاصفة، كل واحد كان نقيضاً للآخر، وأن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي وضعت استمرار الغرب في شك، كما أن أسباب هذا النمط من الصراع لا يكمن في ظاهرة التحولات المسيحية في القرن الثاني عشر أو أصولية القرن العشرين الإسلامية، بل إنها تنبع من طبيعة الديانتين والحضارات المؤسسة على مبادئهما[1].

ومن العوامل التي ساهمت في نظر هنتنغتون في ترسيخ الصراع بين الإسلام والغرب في القرن العشرين وتأجيجه النمو السكاني المتزايد للمسلمين، والصحوة الإسلامية، والممارسات الغربية الممثلة في السعي إلى عولمة القيم والمؤسسات الغربية والتدخل في صراعات العالم

---

[1] صموئيل هنتنغتون: المرجع السابق، 38 .

الإسلامي، وانهيار الاتحاد السوفييتي العدو المشترك للغرب وللإسلام، والاتصال المتزايد بين المسلمين والغربيين الذي فاقم الاختلافات وعزز التشبث بالهوية والأصالة.

ولتأكيد مقولته حول (الإسلام عدو الغرب) يرى هنتنغتون أن للإسلام حدوداً دامية جعلت المسلمين يعانون من مشاكل العيش بسلام مع جيرانهم في دول البلقان وروسية وإفريقية ومنطقة الشرق الأوسط، مما جعل المسلمين في رأيه متورطين في عنف جماعي مع شعوب الحضارات الأخرى. والسبب في ذلك يعود في اعتقاده إلى ثلاثة أمور؛ أولها أن «الإسلام منذ البداية كان دين السيف، انتشر بالسيف ويثمن ويعظم القيم والفضائل العسكرية»، وثانيها أن «ظهور الإسلام في الجزيرة العربية وانتشاره في شمال إفريقية ومعظم دول الشرق الأوسط وفيما بعد في وسط آسية وشبه القارة الهندية جعل المسلمين في اتصال مباشر مع شعوب متعددة، تم غزوها وتحويلها إلى الإسلام». وثالث الأسباب يعود إلى «طبيعة المجتمعات المسلمة التي تعاني من مشاكل مع الأقليات غير المسلمة»[1].

الآلية الرابعة : الحضارة أساس الاقتصاد، ومعنى ذلك في رأي هنتنغتون أن الحضارة تشكل كل شيء في حياة البشرية باعتبارها تحدد المواقف والأنظمة السياسية المختلفة، كما أن الهوية الثقافية هي التي تحدد علاقات الدول بعضها ببعض. ويشير إلى أنه خلال الحرب الباردة كانت الدول ذات العلاقة بالقوتين العظميين دولاً متحالفة، أو تابعة، أو عميلة أو محايدة، أو غير منحازة. أما في عالم ما بعد الحرب الباردة فتتحدد علاقات الدول بالحضارة باعتبارها دولاً أعضاء، دولاً أساسية،

---

[1] صموئيل هنتنغتون: المرجع السابق، 449-453 .

دولاً وحيدة، دولاً متصدعة، دولاً مفتتنة أو ممزقة. وتشكل الحضارة برأيه نموذج التعاون الاقتصادي بين الدول ومدى نجاح المنظمات الاقتصادية وإخفاقها، بل إنه لا يمكن أن يحصل اندماج اقتصادي ناجح إلا في إطار الحضارة الواحدة. ومن ثمة فقد صنف هنتنغتون السياسات الاقتصادية والمنظمات الاقتصادية وفقاً للهوية الحضارية، وأشار إلى أن المنظمات التي تنتمي إلى الحضارة الواحدة أنجح من المنظمات ذات الحضارات المتعددة، كما أنه اعتبر أن التجارة بين رجال الأعمال ستحددها الهوية الحضارية، فإذا كانت نماذج التجارة بين الدول في الماضي ذات ارتباط وثيق بطبيعة التحالفات بين الدول، فإنها في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ستكون متأثرة إلى حد كبير بنماذج الثقافة فلن يبرم رجال الأعمال صفقات إلا مع الأفراد ذوي المرجعية الثقافية المماثلة لهم، ومن ثم فإن جذور التعاون الاقتصادي أصبحت متجذرة في التجانس الثقافي.

وقد أصدر صموئيل هنتنغتون كتاباً آخر تحت عنوان (من نحن؟ تحديات الشخصية الأمريكية) تناول فيه أبعاد الصراع المستجد داخل الولايات المتحدة نفسها في علاقته بما أسماه خطر تنامي الهجرة من دول أمريكة الجنوبية، وخاصة من المكسيك، إلى الولايات المتحدة. وبالمقابل أشار إلى أن المهاجرين الإنجيليين الذين أقاموا الدولة الأمريكية كانوا متشبعين بقيم التسامح الديني وفصل الدين عن الدولة، واحترام الحريات، والرغبة الجامحة في إتقان العمل والإنتاج. وفي اعتقاد هنتنغتون أن هجرة القادمين من المكسيك وأمريكة اللاتينية بدأت تغير من طبيعة المجتمع الأمريكي بفعل تخلف المكسيكيين المتأثرين بمذهبهم الكاثوليكي الأقل تسامحاً والأميل إلى الانغلاق والكسل والتهاون.

وقد حدد هنتنغتون في كتابه المذكور أن اللغة والثقافة والصعوبة هي ثلاثة عوامل أساسية تؤثر تأثيراً قوياً في تكوين شخصية الأفراد. ويعتقد

أن هذه العوامل الثلاثة لدى الأشخاص الكاثوليك المكسيكيين المهاجرين إلى الولايات المتحدة تختلف عن العوامل المكونة لشخصية المواطنين الأنجلوساكسونيين البروتستانت البيض. ونظراً إلى هذا الاختلاف فإن الولايات المتحدة معرضة لأزمة قد تؤدي بها إلى الانقسام، ونشوء تيار جديد يرتبط بالجذور الكاثوليكية المكسيكية، يصارع التيار السائد في الولايات المتحدة والمتجذر في الثقافة الإنجيلية البريطانية، وسيحدث برأيه صدام بين هذين التيارين نظراً إلى الاختلافات العميقة بينهما، والتباينات بين المرجعية الفكرية والقيمية لكل واحد منهما.

إن استعراضنا الموجز للمنطلقات السياسية والفكرية لنظرية صراع الحضارات وآلياتها يوضح أنها رؤية فكرية إيديولوجية، بالإضافة إلى سياقها العام وارتباطها الوثيق بالحاجة إلى ملء الفراغ السياسي لمرحلة ما بعد الحرب الباردة. إنها نظرية تعكس بوضوح مركزية الحضارة الغربية، وتجسد انحيازاً ثقافياً وقيمياً إلى الحضارة الغربية ومصالحها الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية[1].

ولذلك فقد حظيت هذه النظرية خلال العشرية الأخيرة من القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة باهتمام واسع من طرف الباحثين والمفكرين، كما شكلت الموضوع الرئيس لعدد كبير من المؤتمرات والندوات والملتقيات الفكرية على الصعيد العالمي، وقد تم التركيز بالأساس في الثغرات المنهجية والنقائص العلمية في هذه النظرية وكشف أخطائها وبطلان حجتها.

---

[1] دراسة د. مالك عبيد أبو شهيوة بعنوان: (مساهمة أولية للوعي بالآخر، منطلقات وآليات صدام الحضارات)، في مقدمة ترجمة: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي لصموئيل هنتنغتون .

- التوجهات العامة للمواقف المعارضة لنظرية صراع الحضارات

حظيت نظرية صراع الحضارات باهتمام واسع من طرف الباحثين والأكاديميين ورجال السياسة والإعلام على الصعيد العالمي، كما شغلت قضية صدام الحضارات المنظمات الإقليمية والدولية كاليونسكو والإيسيسكو ومعاهد البحث والدراسات الاستراتيجية والسياسية ومراكزهما، إذ عقدت مئات المؤتمرات والندوات العلمية في مختلف أرجاء العالم لتدارس موضوع صراع الحضارات. وقد نتج عن هذه المتابعة المكثفة للموضوع تراكم هائل من المقالات والدراسات والكتب من الصعوبة بمكان الإلمام بها جميعاً. غير أن ذلك التراكم المعرفي التحليلي لنظرية صراع الحضارات يمكن تلخيصه في توجهات عامة تضمنت المواقف المؤيدة لنظرية صراع الحضارات، والمواقف المعارضة لهذه النظرية التي استمدت قوتها من القرار الأممي المتعلق بإعلان عام 2001م السنة الدولية للحوار بين الحضارات دعماً للتفاهم بين الثقافات والحضارات المختلفة. وإذا كانت المواقف المعارضة انبثقت من داخل المجتمعات الغربية نفسها وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، فإن نظرية صراع الحضارات شغلت كذلك كثيراً من المفكرين والباحثين في العالم الإسلامي وحظيت بعناية فائقة في برامج المنظمات العربية الإسلامية، وفي مقدمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)[1]، خاصة أن صموئيل هنتنغتون قد تحدث عن الإسلام وعدّه العدو الأول، وادعى أن بؤرة النزاع في المستقبل

[1] أصدرت منظمة الإيسيسكو الكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات، يتضمن القرارات والإعلانات والبيانات والتقارير وأوراق العمل والبرامج الدولية والإسلامية الصادرة بخصوص موضوع الحوار بين الحضارات، الطبعة الثالثة، الرباط، 2004م .

ستكون بين حضارة الغرب من جهة والحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية من جهة أخرى.

ويمكن القول بأن أطروحة صموئيل هنتنغتون لا تعدو أن تكون استجابة مستعجلة لتحقيق الرغبة في وضع استراتيجية فلسفية للرؤية الأمريكية المستقبلية، عوضاً عن النظرة البراغماتية التي لا تتفق مع المعاهدات والمواثيق الدولية، وبخاصة المتعلقة بحقوق الإنسان. كما أن تأكيد صدام الحضارة الإسلامية مع الحضارة الغربية المعاصرة لا يعدو أن يكون وهماً قائماً على افتراض وقصور موغلين في التشاؤم[1].

وسنكتفي بإبراز مظاهر قصور نظرية هنتنغتون في رؤيتها للحضارة الإسلامية؛ نظراً لأن هذه النظرية كانت من أهم المرجعيات الفكرية التي استند إليها الخطاب الإعلامي الغربي في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، من خلال ترويج فكرة العدو الجديد-القديم للحضارة الغربية.

إن محاولة هنتنغتون طرح الإسلام عدواً بديلاً عن الشيوعية تعدُّ من نقاط الضعف الكبيرة في نظريته، إذ وقع في أسوأ ما وقع فيه المستشرقون. لقد صنف الشرق وشعوبه على أساس واحد هو الدين منطلقاً في تصنيفه من ربط الدين -المعاصر- بالرجعية وبالإرهاب، متجاهلاً أن الأديان لا تصنع الحروب، ولكن استخدام هذه الأديان من قبل الساسة هو الذي يصنع الحروب، كما تجاهل أن الحضارة كيفما كان نوعها، والحضارة الإسلامية من ضمنها، ليست عدوانية بطبيعتها، ومن ثمَّ فإنه ليس صحيحاً أن حضارة الإسلام تحمل معها وفي داخلها عدوانية للحضارات الإنسانية الأخرى ومن ضمنها الحضارة الغربية. إن قول

---

[1] د. حسن عزوزي: الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة، وهم الصدام وحتمية الحوار، سلسلة تصحيح صورة الإسلام، الطبعة الأولى، 2003م، 11 .

هنتنغتون «ولع المسلمين بالعنف والقتال حقيقة من حقائق القرن العشرين ولا يستطيع المسلمون ولا غيرهم نفيه»، هو قول يسعى من ورائه إلى إيجاد علاقة تاريخية بين السياسة الإرهابية والهوية الحضارية الإسلامية.

والواقع أنه ليست هناك علاقة ضرورية أو تاريخية بين المعلومات والإحصاءات التي قدمها هنتنغتون وحقائق التاريخ، فحين ظهر الإرهاب في القرن التاسع عشر لم يكن المسلمون هم الذين اخترعوه[1]. إن خرافة الخطر الإسلامي التي يدعيها هنتنغتون ويربطها بالحركات الإسلامية في إطار ما أسماه الإحياء الإسلامي، لم تأخذ بعين الاعتبار السياق العام الذي أفرز هذه الحركات على امتداد خريطة العالم الإسلامي في أواخر القرن الماضي، استجابةً للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تفاعل المجتمع مع نفسه ومع محيطه، وكذلك في طبيعة علاقة الدولة بالقوى السياسية.

لقد وضع هنتنغتون نصب عينيه بعض أحداث العنف التي وقعت داخل العالم الإسلامي وخارجه، فذهب إلى القول بأن الحضارة الإسلامية وحدها لها القابلية لإفراز حركات أصولية متطرفة، متجاهلاً تنامي التطرف الأصولي المسيحي في الدول الغربية، واليهودي الإسرائيلي في فلسطين، والهندوسي في الهند. وقد سلط هنتنغتون الضوء على نسبة قليلة من الجماعات المتطرفة المنتسبة إلى الإسلام، وتوجس منها خيفة وعدَّها ممثلة للإسلام وحضارته، ومتجاهلاً الإشارة إلى تيارات الاعتدال التي تمثلها النسبة العظمى من المسلمين الذين يمارسون دينهم في سلم وسلام وتعايش ووئام، داخل العالم الإسلامي وخارجه[2].

---

1 دراسة د. مالك عبيد أبو شهيوة: مساهمة أولية للوعي بالآخر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، مرجع سابق، 46 .

2 د. حسن عزوزي: المرجع السابق، 16 .

ولتأكيد مقولته بأن الحضارة الإسلامية ستكون مركز الصراع مع الغـرب في المستقبل القريب، عمد هنتنغتون إلى اعتبار الـوعي بـالانتماء الحضـاري لـدى المسلمين في تزايد مخيف في البلدان الإسلامية، بسبب تمسك شعوبها بـأعرافهم وتقاليدهم ودينهم رافضين كل شكل من أشكال التقليـد أو المحاكـاة للنمـوذج الحضاري الغربي. وقد توسل في ذلك بـرأي المسـتشرق الأمـريكي الشـهير برنـارد لويس الذي يقول في كتابه (دعوة الإسلام): «نحن نواجـه حالـة وحركـة تفـوق مستوى القضايا والسياسات والحكومات التـي يسـعون وراءهـا، ولا يعـد هـذا أقل من صراع حضارات، وربما كان هـذا عمـلاً لا عقلانيـاً، ولكنـه بالتأكيـد ردة فعل تاريخية للند القديم ضد تراثنا اليهودي-المسيحي وضد وجودنـا العلـماني على مستوى انتشار كل منهما»[1].

ويلاحظ أن هنتنغتون يغالي في التخويف من الإسـلام عـن طريـق تـرويج مقولات متشائمة التجأ لتسويغها إلى النـبش في تـاريخ العلاقـة بـين الحضـارتين الإسلامية والغربية، وانتقاء بعض الصراعات العسكرية والدينية التي احتـدمت بين أتباع الحضارتين.

إن فكرة الصراع القادم والمواجهة المرتقبة بين الإسلام والغـرب، وهـمٌ مصطنع غذته الصهيونية وبعض المؤسسات الإعلامية لأغراض إيديولوجية وسياسية تجد جذورها في التوجهات العامة لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، ومساعي بناء نظام عالمي جديد[2]. ومن ثم فإن نظرية هنتنغتون «لا تقوم عـلى أدنى أسـاس مـن المعرفـة بأسـس الإسـلام السـلمية وموقفـه مـن الحضارات والثقافات الأخرى، لأنها نظرية تكرست في أجواء مـن الحيطـة

---

[1] Bernard Lewis, le retour de l'Islam, ed. gallimard, Paris, 1985, p.140.

[2] عبد اللـه العليان: الإسلام والغرب، ما بعد 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، المركـز الثقـافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، 42 .

والحذر من قـوة الإسـلام الروحيـة ومبادئـه، مـما مكـن مـن إبـداء نـوع مـن الكراهية والحقد تجاه حضارة الإسلام»[1].

لقد انتقد كثير من الباحثين والأكاديميين ورجال السياسة في الغرب مواقف هنتنغتـون مـن الإسـلام وحضـارته، كـما اسـتنكروا مقـولات المواجهـة القادمـة والصراع الحضاري بين الإسلام والغرب. وفي هذا الصدد نورد على سبيل المثال لا الحصر موقفَ الأمير تشارلز ولي عهد بريطانية في محاضرته المشـهورة بجامعـة أكسفورد التي انتقد فيها حملة الصحافة البريطانية على الإسلام، وإشادتَه بدور الحضارة الإسلامية في إثراء الحضارة الأوربية وبقيم التسامح في الإسلام.

ونذكر كذلك موقف مسـاعد وزيـر الخارجيـة الأمريكيـة الأسـبق لشـؤون الشرق الأدنى وجنوب شرق آسية السيد إدوارد جيريجيان الذي قال في رده على الحملة المحمومة على الإسلام: «نحن على خلاف مع هذا التصور الـذي لا يـرى في الإسلام إلا إيديولوجية تحاول أن تصادم الغرب أو تهدد السلام»، مؤكداً أنـه لا يجوز اسـتبدال مواجهـة جديـدة بـين الإسـلام والغـرب بـالحرب البـاردة لأن الحملات الصليبية انتهت منذ وقت طويل.

ومن الأصوات المنصفة موقف المستشرق الفرنسي جاك بيرك الذي عـدّ القـول بأن العرب والإسلام هما العدو الواجب قهره كلاماً مبالغـاً فيـه ويحتـاج إلى دليـل، وموقف السيد لي هاملتون، رئيس لجنة الشؤون الخارجية في الكـونغرس الأمـريكي الـذي أعـرب عـن رفضـه للطروحـات والتنبـؤات التـي تتحـدث عـن صراع بـين الحضارات. ثم هنـاك المفكـر الأمـريكي البروفسـور جـون إسـبوزيتو، رئـيس مركـز التفاهم الإسلامي المسـيحي، في جامعـة جـورج تـاون وصـاحب الكتـاب المعـروف (التهديد الإسلامي، حقيقة أم خيال)، الذي يرى أن نظرية صموئيل هنتنغتون كان

[1] د. حسن عزوزي: المرجع السابق، 18 .

لها دور كبير في إثارة وسائل الإعلام الغربية لمخاوف من التهديد الأصولي والتخويف من الخطر الإسلامي القادم.

وإجمالاً فإن الانتقادات التي انصبت على نظرية صدام الحضارات أجمعت على عدم تماسك استنتاجات هنتنغتون التي سعى من خلالها إلى تنبيه الغرب ومراكز النفوذ فيه إلى وجود قوى صاعدة تحمل مخزوناً حضارياً وتاريخياً عريقاً تمثل خطراً حقيقياً على الغرب وثقافته الكونية، مما ساهم في ظهور ما اصطلح عليه بظاهرة الخوف من الإسلام، أو التخويف من الإسلام (الإسلاموفوبيا Islamophobie)، والتي سنتناول مظاهرها وأبعادها السياسية والثقافية في المبحث اللاحق من هذه الدراسة.

كما أكدت تلك الانتقادات أن الافتراضات التي وضعها هنتنغتون ليست صحيحة من الناحية التحليلية الاستقرائية للواقع والتاريخ، ومن ثم لا تعدو أن تكون افتراضات وهمية وتصورات غير واقعية جعلت العقلاء الغربيين أنفسهم، من ساسة وحكام وخبراء استراتيجيين، يدعون إلى إعادة النظر في مقولة صراع الحضارات، والحديث عن نظريات حوار الحضارات المبنية على إبراز حق الاختلاف وتصادم المصالح وتنازع الاستراتيجيات السياسية والاقتصادية، ولكن مع إقرار واجب الحوار والتفاهم والتواصل.

لقد دعت محافل ومنظمات كثيرة إلى حوار الحضارات منذ الستينيات من القرن العشرين، كما أن الدعوة إلى هذا الحوار تعد سمة من سمات النصف الثاني من القرن العشرين. ويلاحظ أنه بعد سنة 2001م التي أعلنتها منظمة الأمم المتحدة سنة للحوار بين الحضارات، شكلت قضايا الحوار بين الحضارات والثقافات والديانات محور العديد من المؤتمرات والاجتماعات التي عقدتها الأمم المتحدة. وقد صدرت عن

تلك المؤتمرات قرارات وإعلانات وبرامج كان لها أثر بارز، ولا سيما فيما يتعلق بتأكيد وجوب تسخير الحوار لخدمة جملة من الأهداف، نذكر منها تعزيز أوجه التشابه والقيم المشتركة مع الحرص على احترام أوجه الاختلاف، والعمل على تبني توجه وتعزيزه يروم استئصال آفة الفقر والتمييز العنصري وكراهية الأجانب والإرهاب والتطرف وعدم التسامح، باعتبار ذلك واجباً أخلاقياً على كل فرد.

وبذلك تشكل تيار قوي ما فتئ يتنامى على الصعيد الدولي يسعى جاهداً إلى تعزيز أطروحة مفادها أن الخيار البديل لصدام الحضارات هو أن تتفاعل الحضارات الإنسانية بعضها مع بعض، بما يعود على الإنسان والبشرية جمعاء بالخير والفائدة، على اعتبار أن التفاعل عملية صراعية ولكنها متجهة نحو البناء والاستجابة الحضارية لتحديات الحاضر، عكس نظرية صدام الحضارات التي هي مقولة صراعية تدفع الغرب بإمكاناته العلمية والمادية إلى ممارسة الهيمنة، ونفي الآخر والسيطرة على مقدراته وثرواته تحت دعوى وتسويغ أن نزاعات العالم المقبلة سيتحكم فيها العامل الحضاري، وأن مجالها الجغرافي سيكون بين العالم الإسلامي والعالم الغربي.

إن الإسلام بوصفه ديناً وحضارة يدعو إلى التفاعل بين الحضارات، وينكر المركزية الحضارية ويدعو إلى جعل العالم منتدى حضارات متعددة الأطراف. ومن هذا المنطلق، فإن المنظور الإسلامي لصراع الحضارات مختلف تماماً عما افترض هنتنغتون في نظريته حول صدام الحضارات.

- تفاعل الحضارات من المنظور الإسلامي

يعد الحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية تستند إلى مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه السمحة. وهو موقف فكري وحالة وجدانية، كما أنه تعبير عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية، وهي سمة التسامح

لا بمعنى التخاذل والضعف، ولكن بمعنى الترفع عن الصغائر والتسامي على الضغائن والتجافي عن الهوى والباطل.

وبناء على هذا المفهوم فإن الحوار من المنظور الإسلامي يقوم على ثلاث قواعد هي: الإيمان بالله ورسوله وكتابه وتقوى الله، والتأدب بأخلاق الإسلام والتأسي بسيرة الرسول ﷺ وسيرة صحابته الكرام، ونشدان الحق والبحث عنه والسعي إلى الحقيقة والتماسها[1].

لقد انطلقت الدعوة إلى الحوار من القرآن الكريم في آيات كثيرة تعكس أشكالاً متعددة من الحوار بمختلف المستويات، وفي شتى المجالات، مثل حوار الخالق مع خلقه ومع رسله، وحوار الأنبياء مع أقوامهم، وحوار الأفراد فيما بينهم. قال تعالى: {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) } [الكهف: 34/18] . وفي سورة المجادلة ورد لفظ التحاور في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1)} [المجادلة: 1/58] .

إن تعدد البشر واختلافهم في الآراء والمعتقدات المعرفية جعلا من الحوار وسيلة من وسائل التقارب والتعارف وتبادل المعارف؛ لأنه كلما اتسعت مساحة المعرفة المتبادلة بين الشعوب والأمم، على مختلف المستويات، ضاقت مساحة الخلاف وانزوى الاختلاف وتراجع وفقد القدرة على التأثير السلبي الذي يلحق أفدح الأضرار بالمجتمعات الإنسانية. ولذلك ينطلق المنظور الإسلامي للحوار من غايات سامية تدعو إلى العدل والإنصاف والقبول بالاختلاف مع الآخر والتسامح معه، انسجاماً مع ضرورات الوئام البشري الإنساني التي تتطلبها الحياة

---

[1] د. عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط، 1997م، 11 .

واحتياجاتها الاجتماعية، وتفرضها طبيعة العمران البشري والأخوة الإنسانية[1].

وتؤكد ثقافة الحوار في الإسلام الاعترافَ بوجود الآخر المختلف، وباحترام حقه، ليس فقط في تبني رأي أو موقف أو اجتهاد مختلف، وإنما احترام حقه في الدفاع عن هذا الرأي أو الموقف أو الاجتهاد. وقد يكون الآخر فرداً أو جماعة، وقد يكون كتابياً أو كافراً، وفي كل الحالات فإن العلاقة بين المسلم والآخر يختصرها الحديث الشريف: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه».

ويقرر الإسلام الاختلاف باعتباره حقيقةً إنسانية طبيعية ويتعامل معه على هذا الأساس؛ لأن اللـه تعالى خلق الناس مختلفين إثنياً واجتماعياً وثقافياً ولغوياً، ولكنهم في الأساس (أمة واحدة) كما جاء في القرآن الكريم {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا} [يونس: 19/10] ، {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22)} [الروم: 22/30] ، وقوله تعالى: {وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: 118/11-119] .

ومن هنا فإن أهداف الحوار من منظور إسلامي هي إطلاع الآخر على وجهة نظر لا يعرفها، ومحاولة إقناعه بالتي هي أحسن بموقف ينكره أو يتنكر له. وهو أمر يشكل في حد ذاته أحد أهم عناصر الاحتكاك الفكري والتكامل الثقافي والتدافع الحضاري بين الناس[2].

---

[1] عبد اللـه العليان: الإسلام والغرب ما بعد 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، المرجع السابق، 125 .

[2] محمد السماك: ورقة عمل بعنوان (ثقافة الحوار في الإسلام)، قدمها خلال الندوة الدولية حول الحوار بين الحضارات: التنوع في إطار التكامل التي نظمتها الإيسيسكو في فرانكفورت بالتعاون مع ولاية هسن بألمانية الاتحادية، 29 -30 أيلول/ سبتمبر 2003م.

والحوار في الشريعة الإسلامية يدعو إلى الوسطية والاعتدال بالكلمة الراقية وبالمنهج السوي مصداقاً لقوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللـهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللـهِ} [آل عمران: 64/3] .

ويحدد الإسلام للحوار منطلقات وموضوعات وأهدافاً، ومن هذه المنطلقات الاحترام المتبادل والإنصاف والعدل ونبذ التعصب والكراهية؛ فالاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاورة هو أحد أهم مرتكزات الحوار؛ إذ ينهى المولى عز وجل المؤمنين عن اتباع أساليب السفهاء ومجاراتهم في السب والتسفيه لمعتقدات الآخر: {وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللـهِ فَيَسُبُّوا اللـهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: 108/6] .

وتقوم العلاقات الإنسانية حسب المنظور الإسلامي على أساس التعارف والتعاون على البر والتقوى، انطلاقاً من وحدة الجنس البشري ووحدة الأصل المنبثق عن المشيئة الإلهية. فالتعاون في المصطلح القرآني يتعدى المعنى اللغوي المباشر إلى معانٍ أعمق مفهوماً وأوسع دلالة في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللـهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13/49] . كما أن التعاون نتيجة حتمية للتعارف ما دام يسعى إلى البر والتقوى، لما فيهما من خير ومنفعة للإنسانية في كل الأزمنة والأمكنة تتحقق بهما سعادة المجتمعات والأفراد، على عكس الإثم والعدوان اللذين يمثلان وجهين بارزين للصدام والصراع ومصدراً لجميع الشرور الأضرار والتشوهات المفضية إلى الحروب والنزاعات والصراع المدمر للحضارة الإنسانية.

ومما لا شك فيه أن القيم الإسلامية أولاً، ثم المبادئ الإنسانية والقواعد القانونية الدولية هما مرجعية ثابتة وموضوعية لجميع الفرقاء المشاركين في الحوار المعنيين به، باعتبارها قيماً ومبادئ تحكم العلاقات

الإنسانية، وتضع القواعد الثابتة للتفاعل فيما بينهم. وتأسيساً على ذلك فإن الإسلام لا يؤمن بالصراع الحضاري أو الصدام الحضاري بل يقول بالتدافع الحضاري[1].

والمقصود بمفهوم التدافع الحضاري في الإسلام أن الحياة البشرية تشهد تصادماً بين الخير والشر، غير أن التدافع يبطل ذلك الصراع بانتصار الخير على الشر، مما يجعل الحضارات تتواصل وتتلاقح وتتدافع ولا تتصارع؛ لأن مشيئة الله اقتضت أن تكون الغلبة للحق والعدل باعتبارهما قاعدتي الحضارة التي يسعد الإنسان في كنفها، ويبدع ويعمر الأرض، ويصلح ولا يفسد، وتلك طبيعة من طبائع الحضارات.

إن الصراع حالة عارضة في المفهوم الإسلامي، وهو شذوذ عن القاعدة؛ لأنه يتنافى والفطرة الإنسانية، وهو نقيض التفاعل الحضاري الذي قامت الحضارة الإسلامية على أساسه. وهو إلى ذلك كله، البديل الموضوعي للفوضى التي نتجت عن ترويج فكرة صراع الحضارات التي تخدم أغراض فئة من البشر تسعى إلى إحكام سيطرتها على مقاليد الأمور في العالم أجمع، والاستفراد بمقدراته وخيراته، وفرض ثقافتها وقيمها ورؤيتها للوجود على باقي الثقافات والديانات.

ومن منطلقات الحوار في الإسلام الإنصاف والعدل مصداقاً لقوله تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: 8/5] . فالعدل هو أساس الحوار الهادف الذي ينفع البشر ويمكث أثره في الأرض؛ لأنه روح الشريعة الإسلامية وجوهر القانون الوضعي، وهو الأساس الراسخ الذي يقوم عليه القانون الدولي. ولذلك فإن العدل

---

[1] د. عبد العزيز بن عثمان التويجري: صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط، 2002م .

والإنصاف في المفهوم الإسلامي هما الشرعية الحضارية التي ينبغي أن تكون منطلقاً للحوار أياً كان مستواه، ومهما تكن أهدافه[1].

- حتمية الحوار بين الحضارات من منظور إسلامي

يستند المفهوم الإسلامي لحوار الحضارات إلى أمرين: حتمية الحوار من جهة، وكون الحضارات مسالمة بطبيعتها من جهة ثانية. والقول بحتمية الحوار يعود إلى أن نظرية الصدام الحضاري، في رأي كثير من الباحثين وخبراء الدراسات المستقبلية، لا تعدو أن تكون وهماً وتصوراً انطلق من فرضيات ذات ارتباط وثيق بمرجعية سياسية وإيديولوجية سعت إلى ملء الفراغ الفكري الناتج عن مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وهو ما سبق أن أشرنا إليه سلفاً حين استعرضنا المنطلقات السياسية والفكرية لنظرية صموئيل هنتنغتون حول صراع الحضارات. ومع ذلك يمكن القول بأن نظرية الصدام الحضاري قد دفعت أصحاب النظر البعيد والحصيف، من المثقفين والمفكرين في الغرب وفي العالم الإسلامي على السواء، إلى إعادة النظر في هذه النظرية، والحديث عن بدائل لها مثل نظرية حوار الحضارات والتنوع الثقافي، والتسامح والتعايش بين الديانات والثقافات.

ويستند الاقتناع بحتمية الحوار إلى أن الصراع ليس من مصلحة الغرب ولا من مصلحة العالم الإسلامي؛ فالغربيون يسيئون إلى حضارتهم وقيمهم وديانتهم وإلى مصالحهم في المستقبل إذا أصروا على مواقفهم المعادية للإسلام والمسلمين وحضارتهم العريقة، والمسلمون بدورهم يسيئون كثيراً إلى حضارتهم وقيمهم ودينهم حينما يتصورون أن الصراع مع

---

[1] د. عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، مرجع السابق، 17 .

الغرب حتمي، وأن معاداته وشن الحرب عليه فريضة[1]، فحضارة الإسلام حضارة {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256/2] ، حضارة الحرية والتعددية، والعدل والمساواة، والسلام وتعزيز العلاقات الإنسانية بين الأمم والشعوب.

أما القول بأن الحضارات مسالمة بطبيعتها؛ فإثبات صحته يتأتى بقراءة متأنية وتفحص دقيق لمسيرة التطور التاريخي للحضارة المعاصرة التي هي أولاً وأخيراً، وبكل مقوماتها ومكوناتها المتعددة من صنع البشرية جمعاء. فمنذ نشوء أول حضارة على وجه الأرض إلى حين بروز حضارات متعددة، كان التفاعل والتدافع هو العامل الأساس في تطور الحضارات وليس الصراع والصدام. كما أن عملية التراكم على مستوى الحضارات أفضت إلى المستوى العلمي والحضاري المتطور الذي يشهده العالم المعاصر في جميع المجالات والتخصصات. وانطلاقاً من ذلك فالحضارة الحديثة هي من صنع جميع الشعوب بغض النظر عن اختلافها الثقافي، وتنوعها الديني.

ويمكن القول بأن مصطلح الحضارة في مفهومه الحديث قد أصبح أكثر اتساعاً مما يدل عليه في مفهومه التقليدي؛ إذ يعني الحصيلة الشاملة التي تعيشها الأمم والشعوب. كما أن الحضارة هي أيضاً نتاج علاقة مجتمع وتفاعله مع الطبيعة ومع المجتمعات الأخرى، لذلك أكد كثير من الباحثين في فلسفة الحضارة أن الحضارات الإنسانية ليست ملكاً لأمة بعينها، ولا هي وقف على جماعة من الناس؛ لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب[2]. وطبقاً لهذا المنظور فإن الحضارات مسالمة، وبإمكانها

---

[1] د. حسن عزوزي: الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة: وهم الصدام وحتمية الحوار، مرجع سابق، 41 .

[2] د. أحمد السايح: أضواء على الحضارة الإسلامية، دار اللواء، الرياض، 1401هـ 17 .

أن تتعايش وتتفاعل بعضها مع بعض، ولا يمكن أن تحمل في داخلها الصدام أو الصراع.

إن أصحاب نظرية الصدام الحضاري، وهم يؤكدون أن الحضارة الإسلامية هي المرشحة للتصادم مع الغرب، يركزون على دعوى عدم قابلية الإسلام وحضارته للتعايش مع الحضارات الأخرى، بزعم أنها حضارة إقصائية وانعزالية ومتعصبة. والواقع أن في ذلك تجنياً واضحاً على الإسلام وحضارته، وجهلاً أو تجاهلاً متعمداً لعقيدة الإسلام وشريعته وأخلاقه السامية.

إن التعايش سمة مميزة للإسلام وملمح جامع يطبع كل جوانبه التشريعية والسلوكية، ودعوة الإسلام إلى التعايش السلمي تقوم على الحوار الفعال والجدي الذي يستند إلى حوار معرفي متكافئ يهدف إلى التفاهم والالتقاء على نقط وقواسم مشتركة، وليس إلى التقابل الجدلي العنيف أو الصدام الحضاري.

إن اهتمام العالم الإسلامي؛ حكومات ومؤسسات رسمية ومنظمات شعبية ومثقفين ومفكرين وأكاديميين بموضوع الحوار بين الحضارات نابع من حث الإسلام على الحوار سبيلاً إلى المعرفة والتعاون، ولذلك كان العالم الإسلامي سباقاً إلى المبادرة بالدعوة إلى الحوار بين الحضارات في مسعى حميد منه انطلق من قيم الحضارة الإسلامية، لإشاعة ثقافة التعايش والتعاون على جميع المستويات، من أجل الوصول إلى توافق دولي يفضي إلى التغلب على المشكلات الناتجة عن سوء الفهم وعدم الثقة التي تسود بعض المجتمعات الإنسانية.

وكان النداءُ الذي أصدره السيد محمد خاتمي، الرئيس السابق للجمهورية الإسلامية الإيرانية، في أثناء رئاسته لمؤتمر القمة الإسلامي الثامن، والذي دعا فيه الأمم المتحدة إلى تبني قضية الحوار بين

الحضارات، مبادرةً بالغة الأهمية عبرت عن الإرادة الجماعية للعالم الإسلامي، وأكدت الحرص الذي تبديه الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي على مشاركة المجتمع الدولي ودعم جهوده المبذولة من أجل وضع الأسس الثابتة للحوار بين الحضارات وإقرار مبادرته[1]. وبناء على هذا الاقتراح، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بتعيين سنة 2001م (سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات).

إن دعوى الخطر الإسلامي الناجم عن تزايد عدد المسلمين وعن أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، أضحت تشكل عقدة خوف من الإسلام امتدت آثارها بشكل سلبي واضح إلى مختلف مكونات وسائل الإعلام الغربية؛ من كلمة وصورة وصوت وكاريكاتور. كما أمست ورقة رابحة تستخدم للتخويف من الإسلام في إطار ظاهرة اصطلح عليها بالإسلاموفوبيا (Islamophobie). ولا شك أن الهدف الرئيس من ذلك كله هو تحريك مشاعر المواطن الغربي وتقوية روح العداء لديه تجاه الإسلام والمسلمين.



---

[1] الكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الطبعة الثانية، 7 .

3-1 صورة الإسلام في الإعلام الغربي

- خصائص صورة الإسلام في الإعلام الغربي

يشكل الإسلام، باعتباره منظومة حضارية إنسانية، أحد أبرز هواجس الغرب منذ تفكك الاتحاد السوفييتي، كما أن ظهور الإسلام على الساحة السياسية والفكرية والثقافية داخل المعاقل والأوساط الغربية ذاتها، جعل منه العدو الأكبر نظراً إلى ما يمثله من جاذبية وتأثير بالغين، مما دفع الغرب إلى البحث عن آليات وسبل لتشويه صورة الإسلام والقيام بحملات تمييع الحقائق المرتبطة بالدين الإسلامي وتزييفها[1].

وإذا كانت ظاهرة صنع صورة مسيئة للإسلام والمسلمين في الغرب ذات جذور تاريخية وامتدت لقرون عديدة، ابتداء من المرحلة الصليبية خلال القرون الوسطى ومروراً بالمرحلة الاستشراقية، فإنه يمكن القول بأن هذه الظاهرة السلبية قد استأثرت بها وسائل الإعلام الغربية منذ العقد الأخير من القرن العشرين، إذ أمست ظاهرة تشويه الإسلام والحضارة الإسلامية في وسائل الإعلام الغربية ظاهرة جديرة بالبحث والمتابعة، فقد تمكنت هذه الوسائل من نقل صور التشويه والتمييع من بطون الكتب والدراسات الاستشراقية إلى أعمدة الصحف وشاشات التلفاز، فغدت تلك الصور الواسعة الانتشار لدى الجماهير بعد أن كانت متداولة في

---

[1] المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو): الإطار العام لبرنامج الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام والحضارة الإسلامية، وثيقة قدمت إلى المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد بالجزائر 15-17 كانون الثاني/ ديسمبر 2004م .

أوساط النخب[1]. وفي الغالب، لا يكاد يوجد في الغرب من صورة للإسلام غير الصور النمطية العنصرية واللقطات الإعلامية السلبية، ولذلك فإن صورة الإسلام؛ عقيدة؛ وثقافة؛ وحضارة تتعرض لكثير من التشويه والتحريف والتضليل في أغلب وسائل الإعلام الغربية التي تحولت إلى آلة لتوجيه وعي الجماهير في المجتمعات الغربية، في إطار استراتيجية لا تترك مساحة لحرية الفكر والاكتشافات، وإنما تمعن بأساليبها المتطورة في نشر قوالب إدراكية يتم تشكيلها وصناعتها داخل أوساط النخبة وجماعات الضغط أو الحكومات.

وقامت الآلة الإعلامية الغربية بضخ فيض من المعلومات والأفكار والآراء حول الإسلام في عقل المشاهد والمستمع والقارئ في إطار عملية صناعة وعي معلوماتي معقدة، وغير أخلاقية؛ لأنها في كثير من الأحيان كانت عملية نفعية تهدف إلى ترسيخ نمط التضليل والتوجيه الفكري والسياسي والاجتماعي والثقافي والعقائدي.

لقد استطاع الإعلام الغربي في العقد الأخير من القرن العشرين أن يكون العامل الرئيس في تكوين الصورة الذهنية في المتخيل الجماعي عن الإسلام والمسلمين في أمريكة وأوربة[2]. فنجح هذا الإعلام في تضليل المواطن الغربي العادي؛ لأنه لا يعرف عن الإسلام إلا ما تنقله وسائل الإعلام إليه من صور وأخبار وتحليلات وتعليقات موجهة توجيهاً يهدف إلى أن تتكون في ذهنية هذا المواطن العادي صورة مشوهة عن الإسلام. ونتيجة لذلك أصبح الرأي العام الغربي يخلط في تصوراته بين الإسلام

---

[1] د. حسن عزوزي: من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب، المجلة العربية، عدد 63، حزيران/ يونيو 2002م .

[2] د. محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2004م .

الصحيح وبين بعض الاتجاهات التي تلجأ إلى العنف واستخدام القوة، كما أصبح ينعت الإسلام بالإرهاب والتخلف انطلاقاً من تصرفات مشينة لبعض أتباعه في العالم الإسلامي وداخل المجتمعات الغربية نفسها.

ومن المواضيع ذات الصلة بالشخصية المسلمة التي ركز عليها الإعلام الغربي في حملاته المضللة عن الإسلام، موضوع المرأة المسلمة الذي اتخذ منه ذلك الإعلام مناسبة للطعن في الشريعة الإسلامية وأحكامها، خاصة ما يتعلق بالمرأة. وهكذا تبرز المرأة المسلمة في الإعلام الغربي أداةً توظف في تشويه صورة الإسلام والمسلمين؛ حيث أصبحت المرأة المسلمة بالنسبة إلى الصحفيات الغربيات نموذج التخلف والاضطهاد. وقد ازدادت الحملة الإعلامية الغربية هجوماً على موقف الإسلام من المرأة مع بروز مشكلة الحجاب في فرنسة وغيرها من الدول الأوربية على وجه الخصوص، حيث شنت حملة ضارية على الحجاب في المدارس والمعامل والإدارات الحكومية من طرف السياسيين وبعض المثقفين، مسنودة في ذلك بتغطية إعلامية واسعة في الصحف والتلفاز، رأت في حجاب المرأة المسلمة رمزاً للظلم والتخلف والتعارض مع ثقافة المجتمعات الغربية وقيمها.

إن الإعلام الغربي في تناوله لموضوع المرأة المسلمة انطلق من مجموعة من المعايير في أثناء تقديمه للصورة النمطية السيئة عن المرأة المسلمة. وتستند تلك المعايير في رأي الدكتورة نوره بنت عبد الله بن عدوان[1] إلى ما يلي:

1- الدعوة إلى رفع وصاية الدين عن المرأة في العالم الإسلامي؛ لأنه يمثل حجر عثرة في طريق تقدمها، ويفرض عليها قيوداً تحد من حريتها كالحجاب والسفر بإذن زوجها.

[1] د. نوره بنت عبد الله بن عدوان: صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي، مقال منشور في الموقع:
www.al-eman.com/muslamet/

2- عدم الموضوعية في عرض قضايا المرأة المسلمة، ومن الأمثلة على ذلك كيفية تناول الإعلام الأمريكي لقضية المرأة في أفغانستان، إذ كان محور اهتمامه انعتاق النساء من حكم طالبان، دون الإشارة إلى ما أفرزته الحرب الأمريكية في هذا البلد المسلم من معاناة مريرة لملايين النساء في المسكن والمأكل والملبس والعلاج الطبي. ومن دلالات عدم الموضوعية استخدام المنهج الانتقائي في تحرير المقالات والتحقيقات بما يتفق مع أطروحات أصحابها؛ فقد تغاضوا عن نتائج التنمية التي تحققت للمرأة في عدد من البلدان الإسلامية، وركزوا الحديث على عباءة المرأة وحجابها، دون الإشارة إلى أن هذا الزي الإسلامي لم يمنع المرأة من العمل في التدريس والطب وإدارة المصارف والتسويق وغيرها من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية.

3- استعمال أسلوب الاحتقار والنظرة الدونية للمرأة المسلمة في شكل صورة ساخرة تصفها بآلة الإنجاب، والشبح الأسود ومهضومة الحقوق، وغيرها من الأوصاف المشحونة بالاستخفاف بثقافة الآخر، واحتقار قيمه واتهامه بالانغلاق والتحجر والجمود.

4- السعي إلى ترسيخ النموذج الغربي للمرأة من خلال إبراز محاسنه ومميزاته، وتجسيده للحرية والمساواة واحترام حقوق الإنسان، ومسايرته لتطور العصر.

5- اعتماد أفكار الحركة النسوية الغربية ومبادئها الداعية إلى تغيير قوانين الأحوال الشخصية للأسرة المسلمة، والدعوة إلى الصراع بين الرجل والمرأة والنضال من أجل تحقيق المساواة.

6- ازدواجية المعايير في التعامل مع قضايا المرأة المسلمة، ومن الأمثلة على ذلك اعتبار المرأة المسلمة متخلفة عندما تضع الحجاب وتلتزم به، في حين تعدّ المرأة الغربية الراهبة محترمة ومطيعة لأوامر

ربها، أو النظر إلى مكوث المرأة الغربية في بيتها للعناية بالأطفال تضحية، في حين أن قيام المرأة المسلمة بذلك في نظر الإعلام الغربي شكل من أشكال العبودية التي يلزمها التحرر منه.

وإجمالاً يمكن القول بأن الإعلام الغربي، استناداً إلى نزعته المادية، قام بالتعامل مع المرأة على أساس أنها مادة وسلعة تعرض للبيع والشراء وتستغل استغلالاً فاحشاً في الإعلانات التجارية، رغم التشدق بحقوق المرأة وحريتها. وقد انعكست هذه الصورة على طبيعة التغطية الإعلامية الغربية لموضوع المرأة المسلمة فيما يتعلق بمسألة تعدد الزوجات، وختان البنات، والإرث والحجاب والعمل، وغيرها من المواضيع التي تناولها الإعلام الغربي في إطار صورة نمطية تتسم بالاحتقار والدونية، وعدم احترام الخصوصيات الثقافية والقيم الإسلامية.

ومن جهة أخرى أكدت دراسات عديدة أن وسائل الإعلام والاتصال الحديثة في الغرب ساهمت بفعالية في تثبيت الصورة النمطية والاختزالية والسلبية التي رسمها الاستشراق للإسلام والمسلمين ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وذلك من خلال السينما والتلفاز. كيف ذلك؟

في أمريكة وأوربة تم اكتشاف أهمية توظيف المؤسسات الإعلامية ولاسيما السينما في تشويه صورة الإسلام والمسلمين. وتزعَّم هذه العملية اليهود الذين أسسوا هوليود وباقي الاستوديوهات الأمريكية السينمائية الكبرى، والشركات السينمائية العالمية الشهيرة مثل كولومبية (Columbia)، وبراماونت (Paramount)، وورنر براذرز (Warner Brothers)، ويونيفرسال (Universal). وهكذا كان إنتاج الأفلام وتوزيعها في هوليود تحت السيطرة الكاملة لليهود المهاجرين، وظلت هوليود تشوه صورة العرب والمسلمين وتقدمهم في قوالب نمطية تصفهم بأنهم برابرة،

وهمج، ورعاع، وخونة، وقذرون، وجبناء، في مقابل تصوير الإنسان الغربي واليهودي على أنه أكثر تمدناً وتسامحاً وشجاعة. وهو تقابل بين شخصيتين مختلفتين تجسده أفلام الطيب والخبيث في السينما الأمريكية على وجه الخصوص.

لقد كان عدد الأفلام التي نشرت الخوف من الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية كبيراً، رصده الباحث جاك شاهين في دراسته حول (العرب الأشرار: كيف شوهت هوليود شعباً)، ومن بين هذه الأفلام على سبيل المثال لا الحصر: فيلم الهجرة أو الخروج (1960) (Exodus)م)، والأحد الأسود (Black Sunday) 1977)م)، وقوات دلتا (1986) (Delta Force)م)، وقواعد الاشتباك (Rules of Engagement)، والنسر الحديدي (1986) (Iron Eagle)م)، والحصار (Fiege Flu)، والمومياء (Mummy)، وغيرها من الأفلام التي أنتجتها هوليوود وروجتها عبر العالم.

وفي أوربة واظبت أغلب الأشرطة التلفازية والأفلام السينمائية وأفلام الرسوم المتحركة الموجهة إلى الأطفال على تقديم صور مغلوطة ومشوهة عن المسلمين. ومن خلال دراسة مضمون البرامج التلفازية في أوربة اتضح أن أكثر الأفلام تشويهاً للمسلمين هي الأفلام الفرنسية، ثم الألمانية. وخلص الدكتور محمد بشاري[1] والدكتور صادق رابح[2] إلى أن محتوى الأفلام الأوربية التي تناولت موضوع الإسلام والعرب

---

[1] د. محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، المرجع السابق، 131-132 .

[2] د. صادق رابح: مرجع السابق، 341 .

SADDEK Rabbah: L'islam dans le discours Médiatique, comment les médias se représentent l'islam en France?

والمسلمين ومضمونها يظهران العرب بشكل ثابت ونمطي في صورة الجبناء والكسالى، والسذج، كما توصلا إلى أن أغلب الأفلام الأوربية؛ سواء في السينما أو التلفاز، تروج صوراً نمطية عن الشخصية المسلمة على النحو التالي:

- شخصية داعرة تعمل على إفساد السياسات الحكيمة للدولة الغربية.
- شخصية شهوانية تعشق الشبق الجنسي وتعدد الزوجات وكثرة الأطفال.
- شخصية سطحية تؤمن بالخرافات، ولا تقوى على التفكير العقلاني العلمي.
- شخصية عنيفة تقتل بلا رحمة، وتحمل دائماً معها الخنجر أو المسدس.

إن الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين في السينما الأمريكية والأوربية تغدو منذرة بالخطر؛ لأن كل من أراد صناعة فيلم عن الإرهاب أو إنتاجه، يصور المسلمين إرهابيين تلقائياً؛ لأنها الفكرة السائدة عن الإسلام في المجتمعات الغربية. وتزداد خطورة هذه المواقف عندما يدافع عنها غربيون مجلون في الكنيسة والصحافة[1] مثل فرانكلين غراهام، وجيلي فولويلن والصحفية الأمريكية الشهيرة آن كولتر التي قالت: "ليس المسلمون جميعهم إرهابيين، لكن كل الإرهابيين مسلمون، ويفترض بنا اجتياح دولهم، وقتل قادتهم وهدايتهم إلى المسيحية".

إن الشخصية العربية الإسلامية تبقى نمطية لا تكاد تتغير سواء في الإنتاج السينمائي لهوليوود أو في أوربة، مع كل المتغيرات السياسية والثقافية، وتراجعِ الاستخدام السياسي المباشر لفن السينما، بل إن

---

[1] Joel Kincheloe and Shirley R. Steinberg ed: The miseducation of the west, Praeger publishers, London, 2004.

انظر الترجمة العربية لهذا الكتاب الصادر عن مركز البابطين للترجمة بالاشتراك مع دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، تحت عنوان (التربية الخاطئة للغرب. كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام؟) .

الكاتب والناقد السينمائي رمضان سليم يرى "أن التغيير يسير بطيئاً في تعامل السينما الأمريكية والأوربية مع الشخصية العربية الإسلامية، خصوصاً بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، حيث بدأت السينما الغربية في إنتاج أفلام تجعل من الإسلام خصماً سياسياً وثقافياً يمكن أن تمارس معه الأساليب نفسها التي استخدمتها هوليوود في عقودها السابقة، وأفرزتها عقدة التعالي واستخدام القوة المعرفية والعسكرية بنوع من التهور ضد الآخرين"[1].

ويرى الدكتور الصادق رابح في دراسته حول صورة الإسلام في الخطاب الإعلامي الفرنسي أن الأبحاث التي أجريت حول تحليل مضمون موقف وسائل الإعلام في الغرب من قضايا الإسلام والمسلمين أجمعت في نتائجها على أن الصور النمطية التي يتم ترويجها في مختلف وسائل الإعلام الغربية تتحدد في الآتي:

1 - إن صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية من صحف ومجلات وإذاعات وتلفاز كانت صورة سلبية وسيئة ومشوهة في الغالب، كما أن المسلمين وصفوا بأوصاف بدائية وهمجية من قبيل: كسالى، عدوانيون، شهوانيون، محبو المال، مبذرون، معتزون بأنفسهم لدرجة الغرور.

2- تم ربط الإسلام بالأصولية وببعض الحركات الإسلامية المتشددة، ولم يفرق الإعلام الغربي بين المسلم المعتدل والمسلم المتطرف، ونتيجة لذلك ساهم الإعلام الغربي في خلق أسطورة الإرهاب، وظل يغذيها وينسج خيوطها عبر حملات مكثفة تحت شعار محاربة الإرهاب، على عدم دقة هذا الشعار الذي استخدم لبث رسالة إعلامية

---

[1] رمضان سليم: الشخصية العربية على الشاشة، صورة خارجية مقربة، بحث منشور في مجلة التواصل في عددها الرابع حول الإسلاموفوبيا، كانون الثاني/ يناير 2005م .

تتجاوز العنف لتعلن الحرب على عناصر كثيرة في مقدمتها كل فصائل التيار الإسلامي، بل على المشروع الحضاري الإسلامي برمته ومختلف رموزه ومفاهيمه.

3 - استخدم الإعلام الغربي عدة وسائل لتشويه صورة الإسلام والمسلمين لدى الرأي العام الغربي، ومن بين هذه الوسائل: اللجوء إلى استعمال العناوين المثيرة للرفع من مبيعات الصحف والمجلات، وتحقيق أعلى نسبة من المشاهدة بالنسبة إلى البرامج التلفزية والأفلام السينمائية، والبث المتكرر وعلى مدار الساعة لصور أحداث العنف والربط بينها وبين الإسلام والإرهاب.

ففي الصحافة المكتوبة تم استخدام تعابير مجازية مكررة عند الإشارة إلى المسلمين مثل: (الطابور الخامس، حصان طروادة، العدو من الداخل، وحوش، برابرة متعصبون)، كما تم ترويج مصطلحات خارج سياقها الحقيقي مثل: (الأصولية، التطرف، الإرهاب الإسلامي، الخطر الإسلامي، القنبلة الإسلامية، الخطر الأخضر).

وفي مجال التلفاز، حيث للصورة سلطة واسعة وتأثير خفي وعميق، تم ترويج صور السيف والقرآن، والإعدام، وذبح الأضحيات، وختان الأطفال، والازدحام في موسم الحج، والنساء المحجبات، والأثرياء من المسلمين في قصورهم داخل العالم الإسلامي وفي المنتجعات الغربية، وغيرها من الصور التي تمارس تأثيراً في المتفرج، وتدفع به إلى استخلاص استنتاجات واتخاذ مواقف شعورية وغير شعورية من الإسلام والمسلمين ذات توجه سلبي واحتقاري.

4- التركيز على نظرية (صدام الحضارات) لصموئيل هنتنغتون، والترويج الإعلامي لها والثناء عليها، والسعي إلى إقناع الرأي العام الغربي بها، خصوصاً بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، التي عدَّها الإعلام

الغربي دليلاً قاطعاً على صحة نبوءة هنتنغتون وحتمية الصراع بين الإسلام والغرب.

وأورد الدكتور محمد بشاري في خلاصاته حول صورة الإسلام في الغرب[1] عدداً من الصور المغلوطة عن الإسلام التي دأب الإعلام الغربي على تضمينها في رسائله، وهي:

- الإسلام دين عنف وإرهاب وانتشر بالسيف.
- الإسلام يضطهد المرأة ويظلمها في الميراث، والمسلمون يتزوجون بأربع نساء.
- المسلمون يعبدون إلهاً مختلفاً، ولا يؤمنون بعيسى عليه السلام.
- الفتوحات الإسلامية مجرد حملات استعمارية ذات طابع اقتصادي.
- الإسلام ضد حرية الاعتقاد، وضد الديمقراطية وحقوق الإنسان.
- الإسلام يعادي الحضارات الأخرى، وضد السامية.
- الإسلام دين وحشي في تطبيقه للحدود والعقوبات.
- الإسلام يحرم الفنون من موسيقا ورسم ونحت، وهو دين رجعي.
- محمد رجل شهواني، ومقاتل ومؤلف للقرآن.

لقد ركز الإعلام الغربي في معظم وسائله على إبراز مثل هذه العناوين المثيرة، في إطار حملة دعائية سعت بكل التقنيات الحديثة لتكنولوجية المعلومات والاتصال، وبتمويل مالي ضخم، إلى ترسيخ الصورة النمطية المشوهة للإسلام في مخيلة الإنسان الغربي

ووعياً بخطورة ذلك، بدأ العالم الإسلامي يشهد تنامي أصوات ومواقف تدعو إلى ضرورة التصدي لمخاطر الإعلام الغربي في تشويه

---

[1] د. محمد بشاري: مرجع سابق، 156 .

صورة الإسلام، وذلك حفاظاً على المصالح الحيوية للعالم الإسلامي، خصوصاً بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م. وفي هذا الإطار عقدت مؤتمرات وندوات بإشراف منظمة المؤتمر الإسلامي، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ورابطة العالم الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وغيرها، لدراسة سبل مواجهة هذا الخطر الداهم، وتصحيح صورة الإسلام في الإعلام الغربي من خلال تغيير جذري لآليات العمل وأساليب التعامل مع الغرب لمخاطبته بلغته ومواجهته بمنطقه، واستخدام كل الأساليب والوسائل التي تمكن من التأثير فيه، وتوجيهه لتعديل نظرته إلى الدين الإسلامي الحنيف وحضارته الإنسانية.

- تصحيح صورة الإسلام في الإعلام الغربي في أدبيات المنظمات الإسلامية - الإيسيسكو نموذجاً

من الواضح أن صنع الصورة النمطية المسيئة إلى الإسلام والمسلمين وترسيخها في العقل الغربي ظاهرة قديمة متجددة، ويمكن القول بأن الإسلام - كان ولا يزال - أكثر الأديان تعرضاً للإساءة في الغرب، كما أن المسلمين هم أكثر شعوب الأرض حظاً من التشويه والتجريم في المجتمعات الغربية.

ويدلنا الرصد التاريخي لتطور ظاهرة الإساءة إلى الإسلام والخوف منه أن ساسة الغرب وقادة الرأي فيه كانوا ينظرون دائماً إلى الإسلام باعتباره يمثل تهديداً لهم؛ فاللاهوتيون في العصور الوسطى كانوا قلقين مما أسموه تأثير القيم الإسلامية في القيم المسيحية تأثيراً تدميرياً، والحملات العسكرية الصليبية هدفت إلى مواجهة ما سمي بالتهديد الإسلامي، وحركة الاستشراق في مجملها كانت أداة من أدوات مواجهة هذا التهديد المزعوم. وهكذا ظل الإسلام يمثل تهديداً للغرب كما هو واضح من نظرية زبجنيو برجنسكي بخصوص (هلال الأزمات) مروراً بنظرية برنارد

لويس عن (عودة الإسلام)، وانتهاء بنظرية صموئيل هنتنغتون عن (صدام الحضارات)[1].

وفي هذا السياق نشأت صناعة الصور النمطية للإسلام والمسلمين والترويج لها عبر وسائل الإعلام، التي تعدُّ سلاحاً من الأسلحة الفعالة التي استخدمها الغرب لترسيخ ظاهرة معاداة الإسلام والخوف والتخويف منه، ليحقق من خلال ذلك ساسةُ الغرب وقادة الرأي أهدافَهم العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية، ويحكموا سيطرتهم وهيمنتهم على العالم تحت دعاوي الانفتاح والعولمة.

إن التشويه الإعلامي لصورة الإسلام والمسلمين يؤثر سلباً في الثقافة والحضارة الإسلاميتين، وقد يصرف كثيراً من الناس والأجيال اللاحقة عن تقدير مكانتها والاستفادة من معطياتها، ولذلك فإن السعي الحثيث نحو تحسين الصورة وتصحيحها يعد واجباً دينياً وضرورة ثقافية[2] فضلاً عن كونه مطلباً واقعياً تمليه مسؤولية تبليغ حقائق الإسلام إلى من يجهلها أو يعاند في معرفتها والاقتناع بها.

إن تغيير الصورة في الغرب وإعلامه مهمة بالغة الصعوبة، وليست أمراً هيناً وبسيطاً يمكن أن يتم بطريقة عفوية وارتجالية بعيداً عن إدراك جميع

---

[1] د. عبد القادر طاش: ورقة عمل تحت عنوان (صورة الإسلام في الغرب، رؤية مستقبلية لصناعة الصورة البديلة) قدمها في الندوة الدولية حول (صورة العالم الإسلامي في الإعلام الغربي بين الإنصاف والإجحاف) التي نظمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في الرباط، 9-10 كانون الثاني/ يناير 2002م .

[2] المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو): الإطار العام لبرنامج الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، 2، (وثيقة غير منشورة اعتمدها المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد في الجزائر 14-15 كانون الأول/ ديسمبر 2003م) .

المتغيرات والأبعاد والتحديات المرتبطة بذلك التراث الغربي المتراكم عبر القرون من العداء الديني والسياسي للإسلام والمسلمين، غير أنه لا يمكن التسليم بعدم جدوى المحاولة لأن الأمة الإسلامية «ذات رسالة عالمية لا يمكن تبليغها للناس كافة، طالما بقيت تلك الصورة المشوهة عن ديننا وثقافتنا تصدهم عن الإسلام»[1].

ومن ثمة فإن الواجب في ظل الواقع الراهن يفرض رسم خطة محكمة وبرنامج عمل هادف، من أجل رصد كل الحملات والانتهاكات التي تمارس وتعلن ضد الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي بكل مكوناته من كلمة وصوت وصورة، والبحث عن أسبابها وخلفياتها ثم الرد عليها وتفنيدها.

وفي هذا الصدد يرى كثير من الباحثين المهتمين بالموضوع[2] أن الرد على حملات التشويه الإعلامي يجب أن يرتكز على بعدين متكاملين:

أ- تفنيد الشبهات والافتراءات والآراء الخاطئة عن الإسلام والمسلمين من خلال رصد ما يقال عن الإسلام في وسائل الإعلام الغربية.

ب- بناء صورة بديلة من خلال تقديم الإسلام وحضارته للآخر وفق أبهى صور التشويق والإقناع والتأثير التي يؤمل أن تحل محل صور التشويه والتضليل الإعلامي.

بخصوص العامل الأول، فمن المؤكد أن الاقتناع بضرورة تغيير الصورة النمطية حول الإسلام في الإعلام الغربي موجود ولا سيما بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، وقد لوحظ تحرك ملموس على

---

1 د. عبد القادر طاش: مرجع سابق، 3 .

2 أوراق العمل المقدمة خلال الندوة الدولية التي نظمتها الإيسيسكو حول موضوع (صورة الإسلام في الإعلام الغربي بين الإنصاف والإجحاف) في مدينة الرباط، كانون الثاني/ يناير 2002م .

مختلف المستويات الرسمية والفكرية والشعبية، ومن طرف الجمعيات والمراكز الثقافية للجاليات والأقليات المسلمة في الغرب في اتجاه إيجاد الخطط الفعالة الكفيلة بتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي. أما فيما يتعلق بالعامل الثاني، فإن المؤشرات الجديدة تدل على أن أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، فتحت أعين الكثيرين في المجتمع الأمريكي على حقيقة جهلهم بالإسلام. وتفيد تقارير متعددة أن السوق الأمريكي شهد رواجاً كبيراً للكتب التي تتحدث عن الإسلام، كما حصلت زيادة ملموسة في عدد الطلاب الذين تسجلوا بالجامعات الأمريكية لحضور دروس حول الإسلام والعالم العربي.

وآخذين بالاعتبار أهمية هذه المؤشرات استأثر موضوع الرد على حملات الإساءة إلى الإسلام وتصحيح صورته باهتمام المنظمات الثقافية والمؤسسات الدينية ومراكز البحث الأكاديمي في العالم الإسلامي، غير أن ذلك الاهتمام تميز بعدم التنسيق، إذ تشتت الجهود وسعى كل طرف إلى معالجة الموضوع بصفة انفرادية مما ضيع فرص ترشيد النفقات ومخاطبة الغرب بصوت واحد. ومع ذلك، فقد سعى مؤتمر القمة الإسلامي العاشر المنعقد في بوتراجايا بماليزية في 16-18 تشرين الأول/ أكتوبر 2003م، إلى الحد من هذا التعدد المتنامي في العالم الإسلامي في موضوع واحد يهم الإسلام والمسلمين، وقد كلف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) بوصفها أحد الأجهزة المتخصصة بمنظمة المؤتمر الإسلامي، بوضع برنامج عمل للرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام وللحضارة الإسلامية ليعرض على المؤتمرات الوزارية الإسلامية المتخصصة، لاعتماده والشروع في تنفيذه، وفي مقدمتها المؤتمر الإسلامي لكل من وزراء الثقافة والإعلام.

ومن خلال استيعاب مختلف القضايا والموضوعات التي انصبت عليها حملات التشويه الإعلامي الغربي للإسلام وحضارته، ومن منطلق الوعي

بطبيعة المهام الملقاة على عاتق الجهات المسؤولة عن الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام وللحضارة الإسلامية، حدد مشروع برنامج الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام وللحضارة الإسلامية ستة مجالات للعمل نعرض لها بإيجاز على النحو التالي:

أ- **المجال الإعلامي** : ويدعو إلى الاستعانة بمؤسسات الاتصال الجماهيري في دول العالم الإسلامي للاضطلاع بدورها في تنفيذ خطة الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام نظراً لما تتمتع به من ميزة التنوع والتعدد، وفي هذا الصدد يقترح البرنامج:

- إنشاء قناة فضائية إسلامية تبث برامجها بمختلف اللغات الأجنبية، وتساهم الدول الإسلامية في برامجها وتمويلها عن طريق البنك الإسلامي للتنمية.
- استثمار الفضاء الإعلامي في الغرب من خلال عرض قضايا العالم الإسلامي.
- استئجار ساعات معدودة للبث الإذاعي والتلفزي في بعض القنوات المستقلة بالبلدان الغربية.
- تشجيع قادة العمل الإسلامي في الغرب على إنشاء صحف ومجلات باللغات الأجنبية، وربط قنوات الاتصال مع الصحفيين والمفكرين والأساتذة الجامعيين المتعاطفين مع قضايا العالم الإسلامي في الغرب.
- استغلال الإنترنيت من خلال إنشاء موقع خاص يهدف إلى تصحيح الأفكار والمعلومات والمفاهيم الخاطئة عن الإسلام، والاستفادة من خدمة البريد الإلكتروني، وإقامة ندوات حية يتناقش فيها علماء ومفكرون وجامعيون مسلمون مع الغربيين المهتمين بالإسلام وحضارته.

ب- **المجال الثقافي** : ويهمُ أساساً تنظيمُ مؤتمرات دولية على مستوى

عـال بتعـاون مـع مـنظمات دوليـة، وتعزيـز مكانـة الترجمـة أداةً للتواصـل والتفاهم، والمساهمة في المعارض الدولية الكبرى التي تقام في بعـض العواصـم الغربية كمعرض هـانوفر وفرانكفـوت في ألمانيـة، ومعـرض بـاريس في فرنسـة، ومعـرض برشـلونة في إسـبانية، وغيرهـا مـن المعـارض المشـهورة عـلى الصـعيد العالمي في أمريكة وكندة وأسترالية وآسية.

ج- **المجال التربوي التعليمي** : ويهدف إلى تصحيح المعلومات الخاطئـة أو المشوهة أو الناقصة التي تتضمنها مناهج الكتب الدراسية الموجهـة إلى طـلاب المراحل الابتدائية والثانوية والمعاهـد والجامعـات الغربيـة، وذلـك مـن خـلال تحديد مصادر الأخطاء والسعي إلى تصحيحها عـن طريـق الجهـات التعليميـة والتربوية المسؤولة عنها في إطار اتفاقيات التعـاون القائمـة بينهـا وبـين وزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي.

د- **مجال الـدعوة الإسـلامية** : ويـدعو إلى تأهيـل الـدعاة والأئمـة تـأهيلاً يستند إلى رؤية واقعيـة وعصريـة تسـتلهم تقنيـات التواصـل المبـاشر والإقنـاع والتأثير، وبيداغوجية التعامل مع الجمهور الغـربي بلغتـه واسـتناداً إلى منطقـه بالحجة والبرهان.

هـ- **المجال الأكاديمي** : ويقترح إعداد دراسـات علميـة باللغـات الأجنبيـة الأكـثر انتشـاراً في العـالم، وتصـحيح المفـاهيم الخاطئـة في كتـب المسـتشرقين المتحـاملين، والـرد عـلى الشـبهات والأخطـاء الـواردة في الموسـوعة الإسـلامية الاستشراقية، وتشجيع الدراسات الإسلامية والعربية بالجامعات الغربية وإنشاء كراسٍ علمية بها، والتعـاون معهـا وتزويـدها بالمعلومـات والمصـادر الصـحيحة والموثوقـة حـول الإسـلام وحضـارته. كـما يقـترح العمـل عـلى فضـح المفـاهيم والنظريات الخاطئة التي تروج لحتمية الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربيـة، وذلـك مـن خـلال إنجـاز دراسـات أكاديميـة تـبرز العطـاء الحضـاري والإنساني للإسلام ومعارضته لكل أشكال العنف والكراهية والصراع مع الآخر.

و- **المجال العلمـي** : ويتعلـق أساسـاً بالاسـتفادة مـن الكفـاءات المسـلمة الموجودة في الغرب باعتبارهم مدخلاً مـن مـداخل توطيـد العلاقـة بـين العـالم الإسلامي والغرب، وبالنظر إلى مكـانتهم الاعتباريـة وانـدماجهم في المجتمعـات الغربيـة ومسـاهمتهم في التنميـة الصـناعية والعلميـة والاقتصـادية لهـذه المجتمعات. وفي هذا الصدد تمت الدعوة إلى تعزيز إسـهام الكفـاءات المسـلمة في الغرب في تعميق جسور الحوار الثقافي والحضاري مع المؤسسـات الإعلاميـة والثقافية الغربيـة، والتشـجيع عـلى إنشـاء جمعيـات للصـداقة بـين الكفـاءات المسلمة المهاجرة وبين الجمعيات المثيلة لها في البلدان المضيفة، وهو ما يكفـل تعزيز جسور الحوار والتبادل الثقافي ويسهم في التخفيـف مـن حـدة التحامـل الغربي على الإسلام والمسلمين.



4-1 الغرب وظاهرة التخويف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)

- أسباب التخويف من الإسلام في الغرب ومظاهره

أصبحت ظاهرة الخوف من الإسلام أو ما اصطلح عليه بالإسلاموفوبيا (Islamophobia) من أكثر الظواهر التي تحظى باهتمام الرأي العام الغربي سواء في مستواه الشعبي أو الرسمي، ويتجلى ذلك بشكل واضح في اهتمام مراكز البحوث السياسية والاستراتيجية والإعلامية الغربية ومعاهدها بالإسلام. وتتراوح آراء المحللين والمفكرين السياسيين والإعلاميين في الغرب في نظرتهم إلى الإسلام بين اعتباره ديناً وثقافة وحضارة تهدد الحضارة الغربية وتتصادم معها، وبين الدعوة إلى الحوار والتعايش والتفاهم والاحترام المتبادل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

وفي المبحث المتعلق بالإسلام والغرب وتفاعل الحضارات يتبين لنا أن صموئيل هنتنغتون ركز كثيراً في نظريته على الحضارة الإسلامية، إذ توقع جازماً اندلاع النزاعات والصدامات في المستقبل القريب بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية انسجاماً مع خاصية التنازع المستمر بينهما، في اعتقاده، منذ أربعة عشر قرناً عبر مسيرة تاريخية مثقلة بالعدائية والعنف، مما جعله يصنف الحضارة الإسلامية على أنها حضارة صراعية تعتمد الصدام والصراع.

وبناء على ذلك رأت نظرية صراع الحضارات أن الحضارة الإسلامية هي البديل الوحيد للشيوعية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي والعدو المقبل للغرب. وقد استند صموئيل هنتنغتون في توقعاته إلى إحصائيات مهولة نشرت في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية، أشارت إلى

سرعة انتشار الإسلام وتنامي أعداد المسلمين وظهور قوتهم بشكل بارز داخل الأوساط والمجتمعات الغربية ذاتها. ومن تلك الإحصائيات ما نشرها الفاتيكان عام 1985م، حيث ذكر لأول مرة في التاريخ أن عدد المسلمين فاق عدد الكاثوليك، ومنذ ذلك الحين بدأت بوادر حملة مسعورة ضد الإسلام والمسلمين وتنامى الحديث عن التطرف الديني وازداد الخوف مما أطلق عليه "الخطر الإسلامي الأخضر"[1].

لقد كان من أسباب بروز ظاهرة الخوف من الإسلام مقولةُ الخطر الإسلامي الناجم عن تزايد عدد المسلمين التي أضحت تشكل عقدة خوف من الإسلام، امتدت آثارها بشكل سلبي واضح إلى الأوساط السياسية والثقافية والإعلامية. كما أصبحت ورقة رابحة تستخدم للتخويف من الإسلام كلما برز الشأن الإسلامي على الساحة الدولية بصورة لافتة، أو ظهر مؤشر من مؤشرات قوة الإسلام وعظمته وسرعة انتشاره[2].

ولم تكن نظرية الصدام بين الإسلام والغرب، لهنتنغتون هي وحدها السبب الرئيس لانتشار ظاهرة الخوف من الإسلام في المجتمعات الغربية، فقد سبقه كثير من المفكرين والمستشرقين ذوي النظرة العدائية إلى الإسلام الذين روجوا أفكاراً ونظريات موغلة في التشاؤم والتحذير من الإسلام والمسلمين، ومن أبرز هؤلاء الأمريكي برنارد لويس، المعروف بمواقفه المناوئة للإسلام، الذي ألقى نهاية عام 1990م محاضرة في موضوع (الأصولية الإسلامية) تنبأ فيها بحتمية الصراع بين الإسلام والغرب، مثيراً زوبعة من التخويف والتحذير من الإسلام. وعزا أسباب

---

[1] د. المهدي المنجرة: الحرب الحضارية الأولى، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1991م، 186 .

[2] د. حسن عزوزي: الغرب وسياسة التخويف من الإسلام، منشورات ألوان المغربية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2002م، 11.

ذلك الصراع إلى جوهر دعوة الإسلام التي ترفض الآخر وتبغي الاختلاف وتعزز الرؤية الاستبدادية وتبعث على الخوف والحذر.

ويقتضي الحديث عن أسباب ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب الإشـارة إلى خصوصيات الصورة التي يرسمها الغرب عن الإسلام والمسلمين. ولكـن قبـل ذلك نسـتعرض بإيجـاز دلالات هـذا المفهـوم الـذي صـار متـداولاً في الأوسـاط الغربية السياسية والثقافية والأكاديمية والإعلامية على وجه الخصوص ومعانيه.

تعرف الموسوعات ودوائر المعارف الغربية مصطلح (Islamophobia) بأنـه الخوف من الإسـلام وكراهيـة المسـلمين. وهـو مشـتق مـن مصـطلح آخـر هـو (Xenophobia) أي الرهاب، بمعنى الخوف من الأجانب أو كل مـا هـو غريـب. وتتكون كلمة (Islamophobia) مـن شـطرين هـما (إسـلام) و(فوبيـا)، ولفظـة فوبيا (Phobia) تعني أصلاً الخـوفَ غـير المسـوّغ والمقلـقَ الـذي يبديـه بعـض الأفراد في أوقات حرجة.

وأصل اللفظة كلمة (Phobas) الإغريقية التي تعني الخوف، كما أن كلمـة (فوبيا) مصطلح طبي في أساسه يستخدم لتشخيص ظاهرة مرضية نفسية تقوم على الخوف من بعض الأشياء مثل الخوف من الركوب في الطائرة أو مـن نـوع معـين مـن الحيوانـات. وقـد كـثر اسـتخدام هـذه اللفظـة في العقـود الأخـيرة لاستحداث مصطلحات جديـدة مثـل (Acrophobia) التـي تعنـي الخـوف مـن الأماكن المرتفعة ومصطلح (Ataxophobia) الذي يعنـي الخـوف مـن الفـوضى، ومصــطلح (Autophobia) الــذي يعنــي الخــوف مــن الوحــدة، ومصــطلح (Doxophobia) الذي يقصد به الخوف من إبداء الرأي[1].

---

[1] المقالات الواردة في مجلة (التواصل) الليبية حول ظاهرة الإسلاموفوبيا، العـدد الرابـع، كانون الثاني/ يناير 2005م .

وقد استعملت لفظة (إسلاموفوبيا) بكثرة في الدراسات النقدية للاستشراق للتمييز بين استشراق إسلاموفوبي (Orientalisme Islamophobie) أي الدراسات الاستشراقية التي تبرز الإسلام حضارة وثقافة مخيفة ومهددة لباقي الحضارات والثقافات، واستشراق إسلاموفيلي (Oreintalisme Islamophile) أي الاستشراق المعتدل والمتعاطف مع الإسلام.

لقد ظهر مصطلح (الإسلاموفوبيا) في أواخر عقد الثمانينيات من القرن العشرين، غير أن الظاهرة التي يعبر عنها هذا المصطلح تعود إلى قرون مضت. وقد أدت تراكمات التاريخ والآثار المترتبة على ما وقع من أحداث في العالم بدءاً بانهيار الاتحاد السوفييتي، وانتهاء بالحرب الباردة، وازدياد الصحوة الإسلامية مع الثورة الإسلامية في إيران، وأحداث أفغانستان والعراق والشيشان، وأحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م في نيويورك، ذلك كله أفرز صوراً نمطية للمسلمين تظهرهم بمظهر المعارض للغرب، والمهدد لقيمه وأمنه وسلامة مواطنيه. واستناداً إلى ذلك برزت (الإسلاموفوبيا) شكلاً جديداً من أشكال العنصرية تصف المسلمين بالتعصب الديني وميلهم إلى العنف ورفضهم لكل ما هو مخالف للإسلام.

ويرى الباحث البريطاني رونميدي تروست (Runnymede Trust) في كتابه (الإسلاموفوبيا، تحدٍّ لنا) (Islamophobia: challenge for us) أن ظاهرة الإسلاموفوبيا تقوم على مكونات تنظر إلى الإسلام على أنه كتلة متراصة غير قابلة للتغيير وليست له قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى، كما تراه "ديناً وضيعاً وأدنى من الغرب وغير عقلاني وبدائي وشهواني، وعدواني، وعنيف، ومهدد، ومؤيد للإرهاب، وفي صدام دائم مع الحضارات". ويزعم أن السبب في ظهور مصطلح (الإسلاموفوبيا) هو تزايد الحركات الإسلامية المعادية للغرب.

لقـد سـبقت الإشـارة إلى أن ظـاهرة الإسـلاموفوبيا ذات علاقـة وطيـدة بالصورة التي يرسمها الغرب عن الإسـلام والمسـلمين. والواقـع أن تلـك الصـورة ليست جديدة بل هي صورة قديمة متجددة، تنحدر من القرون الوسطى، كـما أن إطارها العام حددته الدراسات الاستشراقية حيث رسم الغرب صورة للشرق كما رآه أو كما أحب أن يراه، عـلى رأي المفكـر إدوارد سـعيد في كتابـه الشـهير حول الاستشراق.

إن الصـورة التـي رسـمها الغـرب عـن الإسـلام والمسـلمين، خصوصـاً في الدراسات الاسـتشراقية ومـا تلاهـا مـن نظريـات في الـعصر الحـديث كنظريـة (نهاية التاريخ) لفوكوياما وصراع الحضارات لهنتنغتون، شـكلت البـوادر الأولى لنشوء ظاهرة (الإسلاموفوبيا) والتي رعاها وزاد من انتشارها الإعلام الغربي كما سنعرض لذلك لاحقاً.

ومما يؤكـد أن ظـاهرة الإسـلاموفوبيا متجـذرة في اللاشـعور الغـربي وذات امتدادات ثقافية وفكرية وتاريخية بالغة التعقيد والتشابك ارتباطُها بمؤسسات متعددة ساهمت عبر مراحل تاريخية مختلفـة في جعـل الإسـلاموفوبيا ظـاهرة تستند إلى صور لاهوتية وإيديولوجية، وأدبية فنية، وأنثروبولوجية.

فالصورة اللاهوتية من أقدم الصور التي انطلقت من موقف الـدفاع عـن المسيحية حيث عمدت في ذلك إلى تشويه الإسلام ودمغه بكل شائبة ونقيصـة، بل إن المتطرفين من أتباع الكنيسة نادوا علناً بإبادة الإسلام والمسـلمين زاعمـين أن ذلك واجب إنساني إن لم يكن دينياً، من أجل تخليص العالم مـن شرور هـذا الدين ومعتنقيه. وهكذا ظلت صورة الإسلام في عـين الإنسـان الغـربي؛ أمريكيـاً وأوربياً، صورة قاتمة وقبيحة، كما رسمها أسلافهم رهبـان الكنيسـة وقساوسـتها منذ قرون خلت، تنعت المسلم بأنـه غبـي، ونـتن، وعنيـف، ونصـير الشر الـذي يجب أن يطرد من ملكوت اللـه ورحمته.

أما الصورة الإيديولوجية فتتراوح بين الغلو والاعتدال وكانت من إنتاج مدارس الاستشراق بمختلف أنواعها، وهي صورة ذات ملامح سلبية إذ تُظْهِر العقل الإسلامي غير منتج ومعارضاً للإبداع والابتكار بحكم طابعه التقليدي. ومن بين أشهر المستشرقين القائمين وراء هذا النوع من الصور نذكر الفرنسي (إرنست رينان) الذي يرى العقل الإسلامي عقلاً متبلداً لا يرقى إلى مستوى العقل الآري.

في حين تعود الصورة الأدبية إلى الفنانين والأدباء والرحالة الغربيين الذين شغفوا بالحضارة الإسلامية فصوروها كما راق لهم؛ فلم يروا في هذه الحضارة سوى السحر والشعوذة، والجنس والشذوذ، وليالي ألف ليلة وليلة، وعالم الرق والعبيد، والحريم والرقص، والحجاب والعمامة، والسيف والخيل والخيام والصحراء. ومن أبرز الأعمال الأدبية التي أدت دوراً في رسم الصورة النمطية للإسلام والمسلمين نذكر ترجمة أنطوان غالان لقصص (ألف ليلة وليلة)، ورسائل لورنس العرب وروايات وليام بيكفورد، ورحلات ريتشاد بيرتون، ولوحات جان ليون جيروم، ويوجين لاكروا، وهنري رينيو، وجون فريدريك لويس، وغيرهم.

أما الصورة الأنثروبولوجية التي تبدو في ظاهرها علمية فإنها تخفي في باطنها عداء لاهوتياً للإسلام، وتعود إلى الباحثين الغربيين الذين وظفهم الاستعمار لدراسة مجتمعات الدول الإسلامية التي كانت الدول الإمبريالية في مطلع القرن العشرين تخطط لاستعمارها بدعوى أن شعوبها بدائية ومتوحشة، ومن ثم يلزم إلحاقها بالحضارة الإنسانية وإخراجها من التخلف والهمجية، في حين كان الهدف الأساس، كما هو معلوم، استغلال موارد هذه الدول وثرواتها.

ومن أشهر علماء الأنثروبولوجية الذين كانوا وراء ترويج هذه الصورة كلود ليفي شتراوس الذي صنف الدين الإسلامي ضمن الديانات البدائية في كتابيه المشهورين (الفكر المتوحش) و(المدارات الحزينة).

ودخل مصطلح (Islamophobia) قاموس السياسة الأوربية وأصبح له معنى محدد هو الخوف من الإسلام. ولمعالجة الموضوع ودراسة الظاهرة عقدت مؤتمرات سياسية ونظمت ندوات فكرية حول الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر (مؤتمر الإسلاموفوبيا: الكراهية الأزلية)، الذي عقد في لندن (تشرين الأول/ أكتوبر 1997م). وقد شارك فيه عدد كبير من الأوربيين والمسلمين أكدوا أن الغرب عرف موجات متتالية من الكراهية للإسلام، وأنه يتعمد نشر الإسلاموفوبيا لتحطيم الإسلام كما حطم الشيوعية عن طريق تخويف العالم منها. ودعا المشاركون في المؤتمر إلى تجنب التحيز وفتح قنوات الاتصال الحر مع العالم الإسلامي بعيداً عن التعصب والكراهية، والتشجيع على الحوار والفهم المستنير من أجل القضاء على ما ترسخ في أذهان العامة من الغربيين من أن الإسلام هو العدو الأول للغرب وللحضارة الإنسانية.

ومن تلك المؤتمرات كذلك، نذكر المؤتمر الدولي الذي انعقد في كلية الحقوق (بجامعة ويستمنستر) بلندن (آذار/ مارس 2001م) تحت عنوان (استكشاف الإسلاموفوبيا: تعميق فهمنا للإسلام والمسلمين). وقد نظمه منتدى مجابهة الإسلاموفوبيا والتعصب بالتعاون مع مؤسسة الخوئي بلندن، وشارك في أعماله ثلة من الباحثين والمفكرين المهتمين بالإسلام في أوربة، حيث أكدوا أن الصورة النمطية التي ترسمها وسائل الإعلام للإسلام هي من أكثر مصادر الإسلاموفوبيا في بريطانية خاصة وأوربة عامة. كما عدّوا ظاهرة الإسلاموفوبيا خطيرة، ولا تحترم الشخصية المسلمة ولا الدين الإسلامي.

ومن الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع الإسلاموفوبيا نذكر الدراسة الاستطلاعية التي صدرت سنة 1997م عن مؤسسة رونيميد ترست

(The Runnymede Trust) والتي تعدُّ أول عمل استطلاعي ميداني تقوم به مؤسسة مستقلة تبحث أوضاع المسلمين في بريطانية. وقد كانت الدراسة المذكورة حصيلة دراسة علمية موثقة أجراها عدد من قادة الرأي في المجتمع البريطاني بناء على طلب من مؤسسة رونيميد البريطانية برئاسة البروفسور غوردون كوني من جامعة ساسكس[1]. وتشير هذه الدراسة إلى أن ظاهرة الإسلاموفوبيا أصبحت أوضح وأخطر وأكثر تطرفاً، حيث إن إثارة الخوف من الإسلام أضحت ظاهرة مستفحلة في الحياة اليومية، مشابهة إلى حد كبير لحالة العداء للسامية التي شهدتها أوربة في بداية القرن العشرين. وأكدت هذه الدراسة أن التعبير عن الأفكار المعادية للمسلمين صار متداولاً داخل المجتمع البريطاني، مما ينذر بخطر تحول الإسلاموفوبيا إلى ظاهرة راسخة وجزء من نسيج العنصرية لاستيعاب التمييز على أساس ديني، بجانب الأساس العرقي[2].

وفي كتاب (الإسلاموفوبيا الجديدة) (La nouvelle Islamophobie) للفرنسي فانسن جيسر (Vincent Geisser) الباحث في معهد الأبحاث والدراسات عن العالم الإسلامي ورد أن مصطلح الإسلاموفوبيا من اختراع كتاب ومفكرين لهم علاقات وطيدة مع أجهزة الاستخبارات الفرنسية[3]، أمثال ميشيل تريبالا، وتاغييف وتريفانون، وألكسندر ديل فال.

وقد أثار كتاب (الإسلاموفوبيا الجديدة) للباحث (فانسن جيسر) ردود

---

[1] Islamophobia: Its features and Dangers: Commission ou Britich Muslims and Islamophobia, The Runnymede Trust, Febriary, 1997.

[2] د. محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، مرجع سابق، 77 .

[3] Vincent Geisser: La nouvelle islamophobie, édition la découverte, Paris, 2003, P.29.

فعل عديدة في الصحافة الفرنسية؛ لأنه سعى إلى تحليل ظاهرة الإسلاموفوبيا بمنهجية تختلف عن الشكل المؤسسي للإسلاموفوبيا من المنظور الاستعماري؛ إذ ميز بدقة بين ثلاث مراحل داخل هذه الإسلاموفوبيا الجديدة التي ظهرت في بداية الثمانينيات من القرن الماضي. ففي هذه المرحلة كانت الإسلاموفوبيا تقوم على اعتبار أن التهديد يأتي من العمال المغاربة الذين "يروجون دعايات قريبة من الخميني وذلك تحت ستار العمل النقابي". وفي التسعينيات من القرن العشرين أضحى موضوع الإسلاموفوبيا مرتبطاً "بشباب الضواحي المتعاطفين مع الحركات الأصولية التابعة للمجموعة الإسلامية المسلحة الجزائرية"، أما مع مطلع الألفية الثالثة فإن الخطر يكمن في "التهديد الداخلي النابع من الفرنسيين ذوي الأصل المغربي والمتخرجين في الجامعات الفرنسية"[1].

ومن خلال تحليل الباحث فانسن جيسر لأسباب الإسلاموفوبيا الجديدة وآلياتها ونتائجها دحضَ المواقف المسبقة والمحذرة من (أسلمة) فرنسة في المدى البعيد وما أفرزته من تخوفات لدى الأحزاب والحكومات الفرنسية المتعاقبة، إذ أكد أن الخطأ الذي ارتكبه دعاة الإسلاموفوبيا هو تغييبهم الإسلام المعاش (L'islam vécu) وتركيزهم فقط في أحاديثهم وتحليلاتهم ومشاريع القوانين والمراسيم التي يقترحونها على (إسلام متخيل) (Islam imaginaire) نابع من رؤية مخوفة متجاهلين الإسلام الحقيقي الذي يدين به ويمارسه ملايين المسلمين العاديين الذي يكدون في المعامل والحقول ويعيشون بسلام مع المواطنين الفرنسيين[2].

ويمكن القول إجمالاً بأن (الإسلاموفوبيا) من الظواهر السياسية التي

---

1 Vincent Geisser: La nouvelle Islamophobie, P. 56.

2 Vincent Geisser: Ibid, P. 56.

تعود أسبابها إلى عوامل مختلفة ومتداخلة، كما تعدُّ مظهراً من مظاهر العنصرية. ويرى بعض الباحثين أن من بين أسباب الظاهرة:

- البحث عن عدو جديد بعد انهيار المعسكر الشيوعي بتفكك الاتحاد السوفييتي.
- الصحوة الإسلامية التي أقلقت الغرب (أوربة وأمريكة).
- تكاثر أعداد المسلمين في أوربة وأمريكة وتزايد معدلات اعتناق الإسلام بشكل ملحوظ.
- صعوبة اندماج المسلمين وتذويبهم في المجتمعات الغربية، وحرصهم على التشبث بهويتهم الدينية والثقافية.

إن دعوى الخطر الإسلامي الناجم عن تزايد عدد المسلمين، التي جعلها صموئيل هنتنغتون في نظريته حول صراع الحضارات سبباً من أسباب الخوف من الإسلام، أضحت تشكل عقدة للغربيين، خصوصاً لما امتدت آثارها بشكل سلبي واضح إلى مختلف وسائل الإعلام الغربية التي أصبحت بما تملكه من تقنيات وقوة تأثير الداعية الأكبر لخرافة كون الإسلام يمثل تهديداً للغرب وقيمه وحضارته.

لقد برهن العديد من المفكرين الغربيين على أن ظاهرة الإسلاموفوبيا مجرد وهم وتخويف من الإسلام كان وراءه المحافظون الجدد والتيار المسيحي اليهودي واليمين المتطرف والحركة الصهيونية العالمية، بالإضافة إلى بعض الحكومات الغربية التي تكن العداء غير المسوّغ للإسلام وللعالم الإسلامي. وأدّت الدعاية المعادية للإسلام في الغرب المتوفرة على سلطة إعلامية فائقة دوراً كبيراً في تجذير العقلية الجماعية المعادية للإسلام، وأدت إلى نشوء فكرة العداء للإسلام في اللاوعي عند الغربيين مستندة إلى الأرضية والاستعداد النفسي والتأثير الدفين الذي رسخته الدراسات الاستشراقية المتحاملة على الإسلام،

والمضامين الثقافية للمقررات والكتب المدرسية المتداولة في المؤسسات التعليمية الغربية. إنها سلسلة محكمة الحلقات متفاعلة ومتداخلة فيما بينها، ويعدُّ الإعلام الغربي أحد مكوناتها الرئيسية، إن لم يكن أخطرها على الإطلاق.

- دور الإعلام الغربي في التخويف من الإسلام

في الفصل الثاني من هذه الدراسة حول صورة الإسلام في الإعلام الغربي أوضحنا أن صناعة الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والمسلمين في الصحافة المكتوبة والتلفاز والسينما تعد وسيلة من وسائل معاداة الإسلام، واعتباره تهديداً خطيراً للغرب، ومن ثم بث الفزع والخوف في نفوس المتلقين للرسائل الإعلامية من كل ما يمت إلى الحضارة الإسلامية بصلة.

وقد دأب الإعلام الغربي بمختلف مكوناته على ترويج صور نمطية عن الإسلام موغلة في الازدراء والاستخفاف والاحتقار، وهي صور سلبية في الغالب ولا تعكس إلا ما يحب مصورها أن يراه، حيث قام التصوير النمطي (Stereotyping) بدور سيئ في رسم ملامح الإسلام والمسلمين، محدثاً بذلك أثراً قبيحاً في نفوس الآخرين.

وتعدُّ القولبة الإعلامية أبرز وسيلة ينهجها الإعلام الغربي من أجل توصيف الإسلام في قوالب نمطية مشوهة له ومخوفة منه، وهي تستند إلى جهاز كامل من الأحكام المسبقة التي لها رصيد ضخم في المخيلة الغربية، مما يجعل تصور العالم الإسلامي بكل مكوناته ومقوماته يتم من خلال خلفيات فكرية سابقة تهدف بالأساس إلى الدفاع عن مصالح وأهداف معينة[1].

---

[1] د. حسن عزوزي: الغرب وسياسة التخويف من الإسلام، مرجع سابق، 19 .

ويرى إدوارد سعيد أن عملية تشويه صورة الإسلام عبر التاريخ قد مرت بثلاث مراحل هي؛ المرحلة الصليبية، والمرحلة الاستشراقية، والمرحلة الإعلامية التي تم الاعتماد فيها من طرف الإعلاميين على الأفكار المسبقة التي أنضجتها واختلقتها المرحلة الصليبية والمرحلة الاستشراقية. لقد صنع الإعلام الغربي صورة مخيفة ومروعة عن الإسلام والمسلمين، مستعيداً في ذلك الاحتكاك العنيف الذي طبع تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب في أثناء الحروب الصليبية، كما استند إلى الدراسات الاستشراقية المتحاملة على الإسلام وحضارته[1].

إن الصورة النمطية المشوهة التي رسخها الإعلام الغربي في ذهن الإنسان الغربي حول الإسلام استطاعت أن تجعله يخاف من هذا الدين، ويقع فريسة لوهم افتراءات مقصودة كان الهدف منها الحيلولة دون إقبال الإنسان الغربي على الإسلام أو معرفته. وبترسيخ صورة نمطية مخيفة عن المسلمين، أصبح من الطبيعي أن تتوجه أصابع الاتهام إلى الإسلام ومعتنقيه كلما حدث انفجار أو تدمير إجرامي في أي مكان في العالم. ويمكن القول بأن الصور الإعلامية النمطية عن الإسلام قد ساهمت في انتشار حملة دعائية عبر وسائل الإعلام الغربية استهدفت أسلمة (الإرهاب)، ومن ثم أصبح العالم الإسلامي الضحية النموذجية لما يطلق عليه بلغة الإعلام (شيطنة العدو)؛ أي اعتبار المسلمين، من دون استثناء، شراً مستطيراً ومصدر رعب وتخويف للغرب.

وتعدُّ أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001م بالولايات المتحدة الأمريكية منعطفاً ضاعف من الحملات المغرضة على الإسلام والمسلمين، ومناسبة ظهر فيها بجلاء دور وسائل الإعلام الغربية في انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام، حيث اندلعت حملة شرسة على

---

[1] إدوار سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، 1971م .

الإسلام والمسلمين وازداد التفنن الإعلامي في ترويج الصور النمطية المشوهة معززاً بسيل جارف من التصريحات الأكاديمية والسياسية. كما كانت تلك الأحداث فرصة مواتية لبعض القادة السياسيين ورجال الدين في الغرب لتمرير خطاب العنصرية والاستعلاء وترسيخ شعور الخوف والفزع من الإسلام وحضارته. ولعل أبرز هذه التصريحات ما صدر عن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن عندما استعمل عبارات مثل (الحروب الصليبية) والتي أثارت جدلاً شديداً، وكان لها وقع خطير، بالرغم من تراجعه عن تصريحاته وزيارته لمسجد واشنطن والاجتماع إلى ممثلي المسلمين في أمريكة.

وعلى المستوى الديني صرح القس البروتستانتي فرانكلين غرام أحد أبرز رجال الدين المسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية، بأن الإسلام «دين شيطاني جديد»، في مقابلة له مع برنامج (Nightly news) في قناة NBC الأمريكية، بل عدَّ أن الإسلام «هو الذي هاجم أمريكة في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، كما أن المسلمين يعبدون إلهاً مختلفاً عن الذي يعبده المسيحيون».

وفي أوربة كانت ردود الفعل تتسم بالعنف والعدوانية، وأحياناً بعدم مراعاة اللباقة الدبلوماسية، وتستند إلى توجه بالغ التشاؤم والتطرف يبعث على الخوف والفزع من الإسلام ديناً ومن المسلمين من المواطنين الأوربيين. ومن أمثلة ذلك تصريحات رئيس الوزراء الإيطالي برلسكوني التي عدَّ فيها الحضارة الإسلامية أقل شأناً من الحضارة الغربية؛ لأنها متعصبة ومنغلقة على نفسها، ومن ثمَّ متخلفة عن الركب الحضاري الإنساني المعاصر. وفي هذا الصدد قال: "إن الغرب يجب أن يثق أن حضارته أرقى من حضارة العالم الإسلامي، ويجب أن نكون على وعي بتفوق الحضارة الغربية التي تقوم على نظام من القيم يوفر للشعب الرخاء

في الدول التي تتبناه وتضمن احترام حقوق الإنسان والدين، وهذا الاحترام غير موجود بالتأكيد في الدول الإسلامية". أما النائب المسيحي الديمقراطي الألماني مارتن هوفمان فقد رأى أن "اللـه في الإسلام ليس هو الرب في المسيحية"، وعدَّ أن الخلط في ترجمة اللـه إلى الرب ينقص من قيمته الألوهية الرفيعة في المسيحية". وتفاعلت هذه التصريحات الصادرة عن قيادات سياسية ورجال دين غربيين مع التعليقات والتحليلات الصحفية في الغرب، فكان التأثير والتأثر والتكامل والانسجام بينهم واضحاً نتجت عنه حملة إعلامية شرسة على الإسلام وحضارته، وموجة عنصرية كان ضحيتَها المواطنون المسلمون المقيمون بصفة شرعية وقانونية في البلدان الغربية. كما طال الخوف من الإسلام المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية في الغرب التي تعرض كثير منها للرمي بالحجارة والحرق والتخريب.

ومن الأمثلة الدالة على الدور الكبير الذي أدته وسائل الإعلام الغربية في انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام، نذكر في هذا السياق ما قامت به وسائل الإعلام الفرنسية من حملة شرسة ضد الإسلام والمسلمين بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، إذ تحولت معاداة الإسلام إلى تجارة رابحة، وصارت الصحافة الفرنسية تضع على عاتق المسلمين الأزمة الاقتصادية برمتها والبطالة واختلال الأمن. كما أن المجلات الفرنسية خصصت أعداداً تدور محاورها حول الإسلام، فارتفعت معدلات مبيعاتها 15%، وازدهرت تجارة معاداة الإسلام، وحصل الخلط بين الإسلام والإرهاب والعنف[1].

وقد صدرت عشرات المجلات الأسبوعية والشهرية بأعداد خاصة تدور

---

[1] د. قيس الغزاوي: لماذا أصبحت صورة الإسلام سلبية في الإعلام الفرنسي؟ مقالة منشورة في موقع: www.balagh.co/islam

محاورها حول (الإرهاب الإسلامي) أو (القرآن والعنف) أو (الإسلام والسيف). وتم الإعلان عن هذه المجلات عبر لوحات إشهارية ضخمة في المدن الفرنسية في الأماكن العمومية وفي حافلات نقل الركاب ومحطات القطارات، مما ساهم في تعزيز شعور الخوف من الإسلام لدى المواطنين الفرنسيين. ومن أشهر تلك الإصدارات الإعلامية ذكر الدكتور محمد بشاري[1] في دراسة له ما يلي:

* ملف خاص بعنوان (الإسلام وزمن النقد الذاتي) الذي نشرته صحيفة لونوفيل أوبسرفاتور (le nouvel observateur) في عددها الصادر بتاريخ 4 تشرين الأول/ أكتوبر 2001م، تضمن مقالاً للصحفية جوزيت آليا دعت فيه إلى تحالف دولي لمحاربة القرآن، كما نشرت بعد ذلك ملفاً مطولاً عن التطرف في العالم، عدَّت فيه الإسلام أكثر الأديان تطرفاً، وعمدت إلى نشر صورة عن عملية إعدام في إحدى الساحات بمدينة كابول الأفغانية، وصورة أعضاء من حركة حماس الفلسطينية وهم يحملون القرآن والسيوف، ثم صورة لعملية ختان طفل في إحدى قرى طاجكستان. ومما لا شك فيه أن المقصود بنشر هذه الصور هو ترسيخ فكرة عنف المسلمين من خلال عنف سفك الدماء بالإعدام والختان لدى المتلقي الغربي، وزيادة خوفه من كل ما يمت إلى الإسلام بصلة[2].

* ملف تحت عنوان (محمد، القرآن والطالبان) وعنوان فرعي (الحقيقة حول الإسلام) نشرته مجلة التاريخ (l'histoire) في خمسين صفحة[3] تضمن أربع ملفات فرعية هي: (محمد الرسول المحارب) و(العصر الذهبي للعالم الإسلامي) و(المرأة والقرآن) و(نزعة التطرف). وقد كان

---

1 محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، مرجع سابق، 97 .

2 Revue de l'histoire, n° 12, 2001.

3 Revue de l'histoire, n° 12, 2001.

هذا الملف مشحوناً بإيحاءات سلبية وصور مشوهة عن شخصية الرسول ﷺ، واستخفافاً بموقف الإسلام من قضايا المرأة، وتشكيكاً في معارضته للإرهاب.

ومن القضايا البارزة التي استأثرت بتغطية واسعة في الإعلام الغربي قضية الحجاب التي ساهمت في انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا، نظراً لما خلفته من تداعيات على المستوى السياسي والأكاديمي والإعلامي.

إن لهذه القضية تاريخاً مثيراً في فرنسة، أحدث تخوفات بين المسلمين وزوبعة في جميع الأوساط الفرنسية ابتداء من عام 1989م. فقد أصدر مجلس الدولة الفرنسي في 1989/11/27م قراره الشهير حول الرموز الدينية في المدارس الفرنسية إذ اعتبرها غير مهددة للعلمانية، إلا إذا كانت تمثل طريقة للضغط والتحرش والمزايدة. وقد صدر ذلك القرار بعد شهرين من إثارة قضية الحجاب الإسلامي لأول مرة في فرنسة.

ويعود تاريخ مشكلة ارتداء الحجاب في المدارس الفرنسية إلى 1989/9/18م حين تم طرد ثلاث فتيات مغربيات من معهد غابريال هافاز بضواحي العاصمة الفرنسية باريس؛ لأن مدير المدرسة رفض قبولهن متحجبات. وثارت حملة إعلامية غير مسبوقة في الإعلام الفرنسي وجدل واسع بين من يرون أن الحجاب في المدارس تحدٍّ صريح لعلمانية الدولة، ومن يرون أن طرد المحجبات من المدرسة يعني حرمان جزء من الفرنسيات من حقهن في التعلم.

وانتصر اليسار الفرنسي -وقتها- لإدماج المحجبات، في حين وقف اليمين يدافع عن علمانية المدرسة معتبراً أنه "لا مكان لمثل هذا الإسلام في مدارسنا" على حد قول الوزير اليميني جان بيير شوفنمان حينذاك.

وبعد أن هدأت الأمور وأخذت المدارس تتعامل مع قضية الحجاب حالة بحالة، طفا الموضوع من جديد على السطح سنة 2003م، في وقت

صدرت عن السلطات الفرنسية مبادرات لتحسين أوضاع المسلمين والاعتراف بهيئاتهم وإخراجهم من التجاهل الذي عوملوا به أمداً طويلاً، على تقادم وجودهم في فرنسة وكثرة عددهم الذي يزيد على ستة ملايين نسمة، أي نحو 10% من سكان فرنسة. وأعلن وزير الداخلية الفرنسي آنذاك، الذي كان في الوقت نفسه مكلفاً بملف الأديان، في مجمع إسلامي أنه سيعمل على استصدار قانون لمنع الحجاب في المدارس ومنع ظهوره على بطاقات الهوية الشخصية.

وقد أثار هذا الإعلان زوبعة حتى في الأوساط الحكومية، وأعلن رئيس الوزراء أن العلمانية فكرة قوية تمتلك من القوة الذاتية ما يغنيها عن استصدار قانون لحمايتها. كما أعرب وزير التربية والتعليم الفرنسي عن معارضته لاستصدار قانون؛ لأنه على حد قوله يُرى من طرف المسلمين تهجماً عليهم. يضاف إلى ذلك أن السيدة الأولى، زوجة رئيس الجمهورية الفرنسية آنذاك جاك شيراك، أعلنت عن معارضتها لهذه الفكرة وتدخلت لمنع نزع الحجاب عن الراهبات.

والواقع أن دراسة إصدار قانون جديد بخصوص منع ارتداء الحجاب الإسلامي في المدارس الفرنسية أحدث انقساماً لدى الطبقة السياسية الفرنسية؛ فقد أوردت جريدة لونوفيل أوبسرفاتور في العدد الصادر بتاريخ 13 تشرين الأول/ أكتوبر 2003م ملخصاً لردود أفعال بعض القيادات السياسية الممثلة للأحزاب الكبرى بفرنسة. فأحزاب اليمين تؤيد إقرار قانون يمنع ارتداء الحجاب بالمدارس وبالمؤسسات العمومية، ليس من منطلق ديني معين، ولكن احتراماً لمبادئ الجمهورية. أما أحزاب اليسار فقد أعربت عن موقفها من خلال تصريح للسكرتير الأول للحزب الاشتراكي فرانسوا هولند الذي يرفض كل الرموز الدينية في المدارس؛ سواء أكانت إسلامية (الحجاب) أم يهودية (الكيبا) أم مسيحية (الصليب).

وشدد رئيس الوزراء الفرنسي آنذاك جان بيير رافاران على أنه لا مكان

للمظـاهر الدينيـة، مثـل ارتـداء الحجـاب الإسـلامي في المؤسسـات التعليميـة، وصرح لشبكة التلفاز الخاصة (M6) يوم 2003/9/11م، بـأن المدرسـة لا يمكـن أن تكون مكاناً للتعبير عن الالتزام الديني؛ لأنها ليست مكاناً للدعاية السياسية أو الدينية. وطالب بأن يحترم مواطنو فرنسة القـوانين العلمانيـة وذلـك بعـدم ارتداء الرموز الدينية في المؤسسات التعليمية.

وإثر احتدام الجدل في فرنسة بين الرافضين لإصـدار قـانون يمنـع طالبـات المدارس من ارتداء الرموز الدينية والمؤيـدين لـه، عـين الـرئيس الفـرنسي جـاك شيراك يوم 2003/7/1م الملحق الإعلامي لرئاسة الجمهورية برنار ستاسي رئيسـاً للجنة كلفت بمراقبة تطبيق مبادئ العلمانية في فرنسة، وإعداد توصيات بشأن إمكانية سن قانون يحظر الحجاب في المدارس الفرنسية.

وبعد ثلاثة أشهر، أنجزت لجنة ستاسي تقريرها معتمدة على شـهادة نحـو 120 شخصاً بينهم محجبات، واستمعت اللجنة كذلك إلى رأي رؤسـاء الأحـزاب الفرنسية وممثلي المنظمات الحقوقية ومثقفين وكتاب بخصوص مسـألة ظهـور العلامات الدينية، وتحديداً الحجاب في المدارس والإدارات العمومية الفرنسـية. وأوصى تقرير اللجنة بإصدار قانون يمنع العلامات الدينية الظاهرة في المـدارس الفرنسية، دون أن يشير إلى الحجاب أو أي من العلامات الدينية الأخـرى. وتـم تقديم هذا التقرير يوم 2003/12/11م إلى الرئيس الفرنسي جاك شيراك حيـث استندت إليه الحكومة الفرنسية في صياغة مشروع قانون حول حظر الحجـاب في المؤسسات التعليمية. وقد وافق البرلمـان الأوربي عـلى هـذا القـانون وأصـبح ساري المفعول ابتداء من الدخول المدرسي في أيلول/ سبتمبر 2004م.

ومن الناحية الأكاديمية حظي موضوع الحجاب بأهمية ملحوظة؛ ذلك أن أحـداث 11 أيلـول/ سـبتمبر 2001م أتاحـت صـدور الكثـير مـن الكتـب

والمجلات حول الإسلام والمسلمين في فرنسة، وكان نصيب قضية الحجاب كبيراً في ذلك، إذ إن الندوات حول الإسلام والحجاب اجتاحت العديد من المدن الفرنسية تم خلالها طرح آراء متباينة.

وفي استطلاع للرأي أجراه يومي 25 و26 نيسان/ أبريل 2003م معهد للدراسات في فرنسة يسمى (Institut BVA) على عينة من المواطنين الفرنسيين مكونة من 1006 أشخاص تفوق أعمارهم 18 سنة، أوضحت النتائج أن الفرنسيين منقسمون بشأن قضية الحجاب الإسلامي، فقد أوردت نتائج الاستطلاع أن 49% يؤيدون منع ارتداء الحجاب في المدارس، سواء بواسطة قانون جديد أو بواسطة قرار إداري لرؤساء المدارس المعنية، في حين عارض ذلك 45% من أفراد العينة. وأوضحت نتائج الاستطلاع كذلك أن تأييد قرار منع الحجاب يتطور حسب عمر أفراد العينة؛ إذ انتقلت نسبة التأييد من 40% لدى الشباب إلى أكثر من 53% لدى أفراد العينة البالغة أعمارهم أكثر من 50 سنة.

واستناداً إلى هذه المعطيات التي أوردناها باقتضاب يتضح أن قضية الحجاب في فرنسة أثارت مخاوف الطبقة السياسية والأكاديمية ومؤسسات الإعلام.

لقد ظلت وسائل الإعلام الغربية تمثل أبرز قنوات الاتصال التي تنتج وتفرخ سياسة التخويف من الإسلام في الغرب، فهي بما تمتلكه من إمكانات جبارة وقدرة هائلة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير استطاعت أن تجعل الشأن الإسلامي ضمن اهتمامات الإنسان الغربي، وأن تؤدي دوراً رئيسياً في تكوين الرأي العام وصياغة الأفكار والآراء وإثارة مشاعر الغضب والخوف من الإسلام داخل المجتمعات الغربية. ولذلك تمكنت من استغلال هذا الأمر لترسيخ صورة رهيبة ومخوفة عن الإسلام والمسلمين في مخيلة المشاهد والقارئ الغربي.

غير أنه من باب الإنصاف تجدر الإشارة إلى وجود مفكرين غربيين، على قلتهم، ناهضوا ظاهرة الإسلاموفوبيا بالكشف عن آلياتها وفضح أدواتها، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر ثلاثة مفكرين بارزين هم: نعوم تشومسكي (Noam Chomsky)، وجون إيسبوزيتو (John Espisito)، وجاك شاهين (Jack Shaheen)، ففي كتاب (سيطرة الإعلام: الإنجازات المثيرة للدعاية) أبرز المفكر نعوم تشومسكي خطورة وسائل الإعلام في توجيه الرأي العام، ونبه إلى خطورة هيمنة الدولة على مؤسسات الإعلام التي ما انفكت تروج لأباطيل خدمةً لسياسات ثلة من المسؤولين داخل مؤسسات الدولة الأمريكية وأهدافهم، حتى باتت معرفة الحقيقة من ذلك الكم الهائل من الأكاذيب أمراً عسيراً. ويرى تشومسكي أن الأسلوب الدعائي يلقى موقعاً حسناً في نفوس صناع السياسة الأمريكية، حيث أخذوا يتسعون في الأنشطة الدعائية والانغلاق على مؤسساتها، والإسراف في توظيفها، فاستخدموها بطريقة فعالة في نشر الرعب والهلع من الخطر الأحمر العالمي إبان الحرب الباردة مع المعسكر الشيوعي بزعامة الاتحاد السوفييتي، وهو الأمر الذي تحول بعد انتهاء هذه الحرب إلى العالم الإسلامي والتخويف من خطر مماثل ولكن بلون أخضر.

أما جون إيسبوزيتو فقد أصدر كتاباً سنة 1999م تحت عنوان (التهديد الإسلامي: أسطورة أم حقيقة) في مرحلة تعالت فيها الأصوات المعادية للإسلام، وازداد فيها المنظرون والمبشرون بنظرية صدام الحضارات ونهاية التاريخ. ويعدُّ هذا الكتاب من أهم الكتب التي صدرت في نهاية القرن العشرين لكونه يمثل خطاباً معتدلاً يعتمد منهجية موضوعية بعيدة عن التشنج والاستعداء، وقد أوضح صاحبه أن تصاعد المخاوف من الإسلام تزامن مع انتهاء الحرب الباردة، وخصوصاً مع الفراغ الهائل الذي نتج

عن انهيار المعسكر الشيوعي وتفكك الاتحاد السوفييتي بشكل سريع ومذهل. ويرى جون إيسبوزيتو أنه، نظراً إلى كون الثقافة الأمريكية والأوربية قد تكونت على أساس مواجهة الآخر الثقافي، كان لابد من اختراع عدو جديد تنشغل به العقول والمؤسسات لأمد إلى حين انتهاء الأمريكيين من إعادة تشكيل العالم.

وأكد جون إيسبوزيتو أن أصواتاً معادية للمسلمين تعالت من فوق منابر مختلفة: سياسية، وثقافية، وأكاديمية، وعسكرية في إطار الدعاية لمشروع (النظام العالمي الجديد). ولذلك فإن وسائل الإعلام الغربية، وخصوصاً الأمريكية، شرعت في الترويج لهذا المشروع بترويع الشعوب وتخويفهم من الخطر الوشيك، ووضع عناوين صحفية مستفزة مثل (الحرب الإسلامية ضد الحداثة)، و(الهلال الجديد في أزمة)، و(الهلال الجديد والغرب)، و(القنبلة النووية الإسلامية). وشدد جون إيسبوزيتو حملته النقدية على المؤسسات العلمية والثقافية التي أدت دوراً في عملية التشويه وطمس الحقائق، وفي هذا الصدد أكد في كتابه المذكور أن «المنهج الانتقائي أضاف إلى جهلنا بالإسلام والعرب جهلاً وضيَّق مجال رؤيتنا، بدلاً من أن يوسع آفاق إدراكنا وفهمنا»، كما شن هجوماً شديداً على الاستعمال المغلوط لمصطلح (الأصولية) وفق الاستعمال اللاهوتي لها في أدبيات الكنيسة وإسقاطه بذلك المعنى على المسلمين. واستطاع جون إيسبوزيتو في كتابه المذكور إماطة اللثام عن كثير من الشبهات وكشف حقيقة ظاهرة الإسلاموفوبيا من خلال تأكيد أن مسألة التهديد الإسلامي للعالم هي محض خرافة، صنعها الغرب وصدقها ووقع في أسرها.

أما الكاتب جاك شاهين، الأمريكي الجنسية من أصل عربي لبناني، فقد أصدر سنة 2001م مؤلفاً بعنوان (العرب الأشرار)، جمع فيه حصيلة بحث ودراسة استغرقت منه عشرين عاماً تتبع خلالها بالعرض والتحليل

أكثر من 900 شريط سينمائي وتلفازي، تصور العرب والمسلمين في السينما الأمريكية خلال القرن العشرين برمته. وقد استطاع هذا الكتاب، في رأي النقاد، تحقيق نتائج مهمة، إذ يمثل مصدراً أكاديمياً للباحثين في المجال السمعي البصري؛ لكونه قام بفهرسة كمّ هائل من الأشرطة حول العرب والمسلمين في أمريكة وترتيبها. كما أحدث هزة ثقافية وسياسية في أوساط النخبة المثقفة لكونه إدانة سياسية لمؤسسات الدولة، وللمؤسسات الخاصة، ولطائفة من الكتاب والمشتغلين بالإخراج والإنتاج السينمائي الذين عملوا من أجل الترويج لأهداف الصهيونية وربائبها في الغرب من خلال طمس الحقائق، وإعادة تركيب الوقائع والأحداث بما يخدم مصالحهم، ثم إن المؤلف المذكور أحدث حالة من الوعي لا في النخبة المثقفة فحسب، بل في جمهور الناس من العامة المفتونين بمشاهدة الأشرطة السينمائية.

وخلاصة القول إن ظاهرة تشويه صورة الإسلام والمسلمين والتخويف منهم عبر وسائل الإعلام الغربية تندرج في سياق حرب ثقافية ممتدة ضد الإسلام وحضارته، تبدأ من الدراسات الاستشراقية، وتستمر عبر المناهج والمقررات الدراسية، وتتواصل عبر الصحافة المكتوبة والتلفاز والسينما والإنترنيت. وقد ساهم هذا المخطط المحكم في انتشار حالة نفسية جماعية من الرعب والفزع والخوف من الإسلام في المجتمعات الغربية، خصوصاً الأمريكية والأوربية، وتغلغلها اصطلح عليها بظاهرة الإسلاموفوبيا.

وقد زاد من استفحال الظاهرة تصرفات بعض المسلمين في أمريكة وأوربة كالغش في العمل، والسرقة في المحلات التجارية، وعدم احترام قوانين السير، والسُكر واللجوء إلى العنف ضد النساء، وتفجير محطات القطارات والمترو، وغيرها من السلوكيات التي تتنافى ومبادئ الإسلام

السمحة، وتتعارض مع الأخلاق الإسلامية الداعية إلى السلم والآداب والعفة والطهارة والإخلاص في العمل واحترام الآخر. فبدلاً من أن يكونوا نموذجاً لثقافة الإسلام وقيمه يقتدي به الآخرون في زمن الانهيار الأخلاقي والتفكك الأسري في المجتمعات الغربية، يلاحظ أن كثيراً منهم يعطون نقيض ذلك الانطباع، سواء بالقول أو بالفعل، مما تسبب في ردة فعل لدى الغربيين، بل وفر أرضية مناسبة لكل مغرض يريد أن ينال من الإسلام، كما قدم فرصة سانحة للعنصريين وللجماعات المتعصبة الكارهة للوجود الإسلامي في الغرب لإيذاء المسلمين والمطالبة بطردهم.

وقد استغلت وسائل الإعلام الغربية هذه التصرفات المشينة لتغذية الخوف من الإسلام والمسلمين وتشويه صورتهم، مما جعل الغربيين يقبلون ظاهرة الإسلاموفوبيا على أنها رد فعل طبيعي لا يدعو إلى القلق وتأنيب الضمير. وخصوصاً وقد أرهبهم أن المسلمين أصبحوا جزءاً لا يستهان به من المجتمع، بل يوشكون في بعض البلدان الأوروبية أن يصبحوا الأغلبية بعد عقود من الزمن حسب ما تشير إليه الإحصائيات والتوقعات[1].

---

[1] د. المهدي المنجرة: الإسلام وأوربة، محاضرة ألقيت في المركز الثقافي الإسلامي في بلنسية بإسبانية بتاريخ 2005/9/5م.

الفصل الثاني

رؤية الإعلام الفرنسي للشخصية المسلمة

من خلال مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور

2-1 أدوات تحليل المضامين الإعلامية

2-1-1 التعريف الإجرائي للمفاهيم

تتضمن هذه الدراسة عدداً من المفاهيم، ارتأينا تعريفها إجرائياً لتوضيح المقصود منها تفادياً لأي لبس أو خلط من أجل تيسير عملية اختبار فرضيات البحث من جهة، ولتمكين القارئ من استيعاب مقاربتنا لمشكلة البحث وتتبع عمليتي عرض النتائج وتفسيرها من جهة ثانية. ويتعلق الأمر بالمفاهيم التالية:

أولاً: مفاهيم واردة في عنوان الدراسة وهي: الرؤية / الإعلام الغربي/ الشخصية المسلمة

أ. الرؤية : من المعلوم أن ثمة تعقيداً واختلافاً كبيرين بين النقاد والفلاسفة في تحديد معنى مفهوم الرؤية. ولأن المقام لا يسمح لنا باستعراض مختلف التعريفات المتداولة بخصوص هذا المفهوم، فسيتم الاقتصار على أحد التعاريف وجدنا أنه يناسب السياق العام لموضوع البحث. وهو تعريف يعدّ الرؤية شبكة من العلاقات المتداخلة التي لا تظهر

بشكل عفوي، وينبغي الكشف عنها بتفتيت بنيتها؛ لأن الرؤية مزيج من العوامل الذاتية والخارجية، كما أنها توحد فكر الجماعة بما يجعلها تدخل في صراع أو انسجام مع مجموعات بشرية أخرى. إن الرؤية بهذا المعنى موقف من الحياة أو بنية عقلية تخص فئة بشرية بما يجعلها تنظر إلى الآخر نظرة مختلفة.

وانطلاقاً من هذا التعريف فإن رؤية الإعلام الغربي للشخصية المسلمة هي رؤية تتداخل فيها عوامل ذاتية سيكولوجية مرتبطة بالتربية والتعليم، وعوامل موضوعية مرتبطة بالظروف السياسية في معناها الأوسع. كما أن هذه الرؤية ليست فردية، بل هي تجسيد لفكر جماعي للمواطنين الغربيين غير المسلمين، يتخذ موقفاً من مجموعة بشرية أخرى داخل المجتمعات الغربية أو خارجها تختلف عنهم في المعتقد الديني والهوية الثقافية.

ب. الإعلام الغربي : ويقصد به الرسائل الإعلامية التي أنتجتها مختلف الوسائل الإعلامية المكتوبة والمرئية والمسموعة حول الإسلام والمسلمين في فرنسة، وخاصة الصحافة المكتوبة الأسبوعية ممثلة في مجلتي الإكسبرس (L'Express) ولونوفيل أوبسرفاتور (Le Nouvel Observateur) خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من أيلول/ سبتمبر 2001م إلى نهاية كانون الأول/ ديسمبر 2004م.

ت. الشخصية المسلمة : حددت الشريعة الإسلامية معالم الشخصية وصفاتها ومميزاتها تحديداً دقيقاً؛ فالقرآن الكريم دعا الإنسان إلى الاعتدال والاستقامة والتوازن في مجالات الحياة كلها من غير إفراط ولا تفريط، وأن يوازن الشخص بين طلب الدنيا وطلب الآخرة {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللـهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللـهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللـهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)} [القصص: 28/77] .

وفي مجال الدراسات النفسية تجمع كتب علم النفس على أن مفهوم الشخصية من أصعب الاصطلاحات فهماً وتفسيراً. ومن بين التعاريف الأكثر تداولاً بخصوص مفهوم الشخصية التعريف القائل بأن الشخصية هي البناء الخاص بصفات الفرد، وأنماط سلوكه الذي يحدد طريقته المتفردة في تكيفه مع بيئته ومحيطه الاجتماعي. ثم هناك تعريف آخر يقول بأن الشخصية هي المفهوم الشامل للذات الإنسانية ظاهراً وباطناً بكل ميولها وتصوراتها وأفكارها واعتقاداتها وقناعاتها وصفاتها الحركية والذوقية والنفسية.

وفي هذه الدراسة فإن مفهوم الشخصية المسلمة يتجسد في مجموعة من العناصر المتكاملة تشمل البعد العقدي والقيمي، وهو الإسلام ديناً وثقافة وحضارة. وتشمل البعد الجماعي، ويتمثل في المسلمين الموجودين في فرنسة؛ سواء كانوا مواطنين حاملين للجنسية الفرنسية أو مهاجرين مقيمين في فرنسة والمسلمين في العالم. وتشمل البعد الفردي، وهي المرأة المسلمة داخل فرنسة وخارجها، والبعد المرتبط بالرموز الدينية والتقاليد، ويتعلق الأمر بالحجاب الإسلامي، والبعد السياسي، ويتمثل في الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي والحركات الإسلامية في العالم، ثم البعد الفكري والثقافي، ويتمثل في قيادات مسلمة مشهورة في فرنسة بنشاطها الثقافي والسياسي.

ثانياً: مفاهيم تمثل وحدات التحليل الكبرى وهي: الإسلام/ المسلمون في فرنسة/ الحجاب/ المرأة المسلمة/ الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي/ القيادات الإسلامية/الحركات الإسلامية في العالم

أ- **الإسلام** : ويقصد به الدين الإسلامي في معناه الأصيل كما ورد في القرآن والسنة، ثم التسميات المتداولة حالياً مثل (الإسلام الراديكالي) و (الإسلام المتطرف) و (الإسلام الحداثي) و (الإسلام الأوربي). ويندرج ضمن هذا المفهوم كل ما يمت إلى الإسلام بصلة على مستوى التشريع والأخلاق

والمـذاهب والعـادات والتقاليـد، وعلاقـة الإسـلام بالعلمانيـة وبالأديـان السماوية، والإسلام والغرب وحوار الحضارات، والإسلام والإرهاب، والإسـلام والجهاد.

ب- **المسلمون في فرنسة** : والمقصود بهم المسلمون الذين هـاجروا إلى فرنسـة من الجيل القديم وأولادهـم المولـودون في فرنسـة والحـاملون للجنسـية الفرنسية الذين يطلق عليهم اسم الجيل الثـاني والثالـث والرابـع. كـذلك المسلمون الذين هاجروا إلى فرنسة بطرق غير قانونيـة ولم يحصـلوا عـلى وثائق الإقامة. ثم أخيراً المسلمون من أصل فرنسي الذين اعتنقـوا الإسـلام لأسباب مختلفة. ويندرج ضـمن هـذا المفهـوم كـل مـا يتعلـق بالأوضـاع الاجتماعيـة للمسـلمين في فرنسـة وتـدبير أمـوال المسـلمين في فرنسـة، والمنظمات الإسلامية في فرنسة.

ت- **الحجاب** : والمقصود به الرداء الذي اختارته الفتاة والمرأة المسـلمة زيـاً أو لباساً لها، للتعبير عن التزامها بالشريعة الإسلامية ولإشهار هويتها الدينيـة والثقافية. ويشمل هذا المفهوم النقاب والبرقع وتشادور. وينـدرج ضـمن هذا المفهوم كـل مـا يتعلـق بالحجـاب في المـدارس الفرنسـية، والحجـاب وقيم الجمهورية الفرنسية، وعلاقة الحجاب بحقوق الإنسان.

ث- **المرأة المسلمة** : والمقصود بها النساء والفتيـات المسـلمات الموجـودات في فرنسة، إما بفعل ولادتهن في هذا البلد أو على إثر هجـرتهن إليـه بصـفة قانونية أو غير قانونية، ثم النسـاء والفتيـات الفرنسـيات اللـواتي أسـلمن بعد زواج من مسلمين من جنسيات أخرى. ويندرج ضـمن هـذا المفهـوم كل ما يتعلق بمساواة المرأة مع الرجل، وموقف الإسلام من المرأة، وحرية المرأة في المجتمعات الإسلامية.

ج- **الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي** : والمقصود بها حكومات دول العـالم الإسـلامي والأنظمـة السياسـية الحاكمـة في العـالم الإسـلامي في تجلياتهـا المختلفة ملكية أو جمهورية، وزارات أو مؤسسات حكومية.

ح- **القيادات الإسلامية** : ويشمل هذا المفهوم القادة والزعماء السياسيين وقادة الرأي والفكر في مجال الدعوة الإسلامية والثقافة داخل فرنسة وخارجها.

خ- **الحركات الإسلامية في العالم** : والمقصود بها في هذا البحث التنظيمات السياسية ذات المرجعية الإسلامية؛ وهي تنظيم القاعدة، وحركة طالبان في الجمهورية الإسلامية الأفغانية، وحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين (حماس).

2-1-2- تصميم عينة الدراسة

ينتمي البحث إلى الدراسات الوصفية المسحية، وتبعاً لذلك فقد وظفنا تقنية تحليل المضمون أداةً للتحليل على عينة مصدرية وزمنية محددة. كما وظفنا تقنية الاستبيان أداةً مساعدة بهدف معرفة اتجاهات عينة من المسلمين الفرنسيين ومواقفهم من مواضيع الدراسة، وتتكون هذه العينة من ثلاثين فرداً من القيادات الإسلامية والكفاءات العلمية المسلمة النشطة في الساحة السياسية والثقافية والعلمية في فرنسة.

إن طبيعة موضوع البحث جعلتنا نعالج جوانبه بالاعتماد على وسيلة أساسية هي تقنية تحليل المضمون، بهدف رصد اتجاه كل من مجلتي الإكسبرس (l'Express)، ولونوفيل أوبسرفاتور (le Nouvel observateur)، نحو الشخصية المسلمة وقضايا الإسلام والمسلمين في فرنسة وخارجها خلال المدة من 2001م إلى 2004م.

كما وظفنا وسيلة ثانية هي تقنية الاستبيان لتحديد مواقف القيادات والكفاءات المسلمة الموجودة في فرنسة من المواضيع والقضايا التي تناولتها مجلتا العينة، والمقارنة بينهما لاستجلاء أوجه التطابق والاختلاف بين ما تروجه المجلتان من صور واتجاهات حول الإسلام والمسلمين في فرنسة من جهة، وبين ما تراه فئة من المواطنين الفرنسيين المسلمين.

وتوخينا بواسطة تقنية تحليل المضمون البحث عن العلاقات الفكرية الظاهرة وغير الظاهرة، والكشف عنها بأسلوب علمي يعتمد الإحصائيات والجداول والنسب المئوية والرسوم البيانية، بهدف التوصل إلى استدلالات واستنتاجات صحيحة ومطابقة في حالة إعادة البحث أو التحليل، مع الحرص على تجنب التأويلات والانطباعات الذاتية التي قد تنجم عن انتماء الباحث إلى مجتمع عربي إسلامي، أو اشتغاله في منظمة دولية متخصصة في مجالات التربية والعلوم والثقافة والاتصال في العالم الإسلامي.

واخترنا مجتمعاً أصلياً لعينة البحث الأعداد الكاملة لمجلتي الإكسبرس (l'Express) ولونوفيل أوبسرفاتور (le Nouvel observateur) الصادرة خلال الأسبوع التالي لأحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م؛ أي ابتداء من 20 أيلول/ سبتمبر 2001 إلى غاية 30 كانون الأول/ ديسمبر 2004م. وكان مجموع هذه الأعداد 314 موزعة على النحو التالي:

جدول رقم (1)

مجموع الأعداد الصادرة عن مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور خلال المدة من أيلول/ سبتمبر 2001م إلى كانون الأول/ ديسمبر 2004م[1].

المدة	مجلة الإكسبرس	مجلة لونوفيل أوبسرفاتور	المجموع
الأسبوع الأخير من أيلول/ سبتمبر 2001م	1	1	2
تشرين الأول/ أكتوبر - تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر 2001م	12	12	24
سنة 2002م	48	48	96
سنة 2003م	48	48	96
سنة 2004م	48	48	96
المجموع	157	157	314

[1] تصدر مجلتا العينة أسبوعياً بمعدل 4 أعداد في الشهر، وواظبتا على الصدور خلال المدة الزمنية .

ولتحديـد عينـة المصـدر، تـم اختيـار مجلتـي الإكسـبرس (l'Express) ولونوفيل أوبسرفاتور (le Nouvel Observateur) للاعتبارات التالية:

- المكانـة التـي تحتلهـا المجلتـان في المشـهد الإعلامـي المكتـوب في فرنسـة، باعتبارهما من المنشورات الصحفية الأسبوعية الأكـثر مقروئيـة في فرنسـة من طرف الأطر المتوسطة ذات التوجه الليبرالي.
- اهـتمام المجلتـين الملحـوظ بقضـايا الإسـلام والمسـلمين منـذ سـنة 1985م، وتنـوع الأجنـاس الصـحفية المخصصـة لدراسـة هـذه القضـايا (ملفـات، تقارير، مقالات، التأريخ، احتجاجات، كاريكاتور...)، مما جعل منهما أكـثر المجلات الفرنسية تناولاً للمواضيع ذات الصلة بالإسلام والمسـلمين داخـل فرنسة وخارجها، مما حدا بالباحث الدكتور صادق رابح إلى إجراء دراسـة تحليلية لما نشرته هاتـان المجلتـان عـن الإسـلام خـلال السـنوات (1985-1989م)[1].
- المتابعـة المكثفـة للمجلتـين للمواضـيع المتعلقـة بالإسـلام والمسـلمين بعـد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م، وارتفاع عدد مبيعات المجلتين بسـبب ذلك خلال السنوات (2001-2004م) مما يعني ارتفاع عـدد قـراء هـاتين المجلتين وتـأثرهم بمـواقفهما المعلنـة والمضـمرة مـن الإسـلام والمسـلمين. (انظر الجدول رقم (1) الخاص بالمجلات الأكثر توزيعاً في فرنسة).
- انتماء المجلتين إلى قائمة الصحف والمجلات الغربية التـي يعـرف عنهـا نشر مقالات ودراسات تسيء عموماً إلى صـورة المسـلمين مثـل (ديرشـبغل) في ألمانية، و(الديلي ميرور) و(الديلي إكسبرس) في بريطانية.

---

[1] Saddek Rabah: L'islam dans le discours médiatique (comment les médias se représentent l'islam en France), Ed Al Bouraq, Beyrouth, Liban, 1998.

- إجماع كثير من الباحثين والمهتمين بالإعلام الفرنسي على أن مجلة لونوفيل أوبسرفاتور هي أحد أبواق الدعاية الصهيونية في الإعلام الفرنسي المكتوب[1].

وفيما يخص العينة الزمنية، اخترنا المدة من الأسبوع الثالث من شهر أيلول/ سبتمبر 2001م إلى الأسبوع الرابع من شهر كانون الأول/ ديسمبر 2004م، عينة زمنية للبحث لاعتبارات موضوعية ترتبط بجملة من الأحداث السياسية البارزة التي شهدها العالم بصفة عامة وفرنسة بصفة خاصة خلال هذه السنوات، وكان الإسلام والمسلمون محورها الرئيس[2].

ويتعلق الأمر بالأحداث التالية:

* انفجارات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001م في الولايات المتحدة الأمريكية وتداعياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية، وانعكاس هذه التداعيات بالخصوص على أوضاع الجاليات والأقليات المسلمة في الغرب بصورة عامة، وأضرارها على مصالح العالم الإسلامي ومضاعفاتها السلبية على صورة الإسلام في الغرب، إذ تحركت دوائر كثيرة لشن حملات مغرضة ضد الوجود الإسلامي في أوربة وأمريكة، وضد كل ما يمت إلى الإسلام بصلة في كل مكان وعلى نحو لا يقارن بما كان عليه الوضع قبل وقوع تلك الأحداث.

* الارتفاع الملحوظ لعدد الإصدارات والكتب والدراسات التي تمحورت حول الإسلام عقيدةً وحضارة وثقافة، إذ أصبح موضوع الإسلام

---

[1] د. محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، مرجع سابق، 64 .

[2] Thomas Deltombe: l'islam imaginaire, la construction médiatique de l'islamophobie en France 1975-2005; Ed la découverte, Paris 2005, p.10-19.

والمسلمين مادة دسمة للصحف والمجلات الغربية التي خصصت أعداداً وملفات وتحقيقات للمواضيع ذات الصلة بالإسلام وبالمنظمات السياسية الإسلامية، والإمعان في اعتبار الإسلام الخطر الأخضر الذي يهدد الحضارة الغربية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

* انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا واتساع الاهتمام بهذه الظاهرة من طرف رجال الإعلام والثقافة والفكر في الغرب، وارتفاع العنصرية والكراهية ضد المسلمين ورموزهم الدينية في فرنسة، مثل إحراق المساجد والعبث بقبور المسلمين ومنع ارتداء الحجاب في المدارس والإدارات العمومية.

* إقدام الحكومة الفرنسية (وزارة الداخلية تحديداً) على إقفال المساجد غير المعترف بها، وتوقيف عدد من أئمة المساجد غير المرغوب فيهم، ووضع برنامج عمل لتأهيل أئمة من أبناء الجاليات المسلمة الناطقين باللغة الفرنسية الملتزمين بها أطلق عليه (الإسلام الفرنسي).

* إجراء الانتخابات الرئاسية الفرنسية عام 2002م التي كاد الأمين العام للحزب اليميني المتطرف جان ماري لوبين أن يفوز فيها بعد تنافس شديد مع الرئيس السابق جاك شيراك، والذي استطاع الفوز بمنصب الرئاسة في الدور الثاني من هذه الانتخابات بفضل أصوات الجاليات المسلمة في فرنسة.

* عودة ظهور أزمة الحجاب والنقاش حول تهديد الإسلام لمبادئ الجمهورية وقيم العلمانية، وصدور قانون يمنع ارتداء الحجاب في المدارس والمعاهد الحكومية المعروف بقانون (حماية العلمانية) في شباط/ فبراير 2003م والعمل به ابتداء من الدخول المدرسي في أيلول/ سبتمبر 2004م، بعد أن وافق البرلمان الأوربي عليه.

* تأسيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية في نيسان/ أبريل 2003م

بـإشراف وزارة الداخليـة الفرنسـية بهـدف مراقبـة أنشـطة المـنظمات والجمعيات الإسلامية في فرنسـة وتوجيهها بمـا يـتلاءم ومفهـوم الحكومـة الفرنسية لما أطلقت عليه (الإسلام الفرنسي).

* ارتفـاع نسـبة الإقصـاء الثقـافي والاجتماعـي للمهـاجرين في فرنسـة، وخاصـة المسلمين منهم من خلال اتخاذ إجراءات صارمة في حقهم ابتداء من سنة 2004م، مما أدى إلى اندلاع أحداث الشغب في ضـواحي مدينـة بـاريس وبعـض المـدن الفرنسـية كمارسـيلية وليـون، احتجاجـاً عـلى السياسـة الفرنسية في مجال إدماج المهاجرين وعدم اهـتمام الحكومـات الفرنسـية المتعاقبة بأبناء الجيل الثالث والرابع من المهاجرين، واعتبـارهم مـواطنين فرنسيين من الدرجة الثانية.

* إخفاق المخابرات الأمريكيـة في إلقـاء القـبض عـلى أسـامة بـن لادن، واسـتمرار القاعدة في تنفيذ مخططاتها في أوربة (تفجـيرات 11 آذار/ مـارس 2004م بمدريد) وتهديدها للأنظمة الحاكمة في أوربة.

* الغزو الأمريكي للعراق وتداعياته على الصعيدين المحـلي والـدولي خصوصـاً مـا يتعلق باتساع نشـاط تنظـيم القاعـدة في بـلاد الرافـدين وشـبه الجزيـرة العربية، ودور ذلـك في انتشـار ظـاهرة الخـوف مـن الإسـلام والمسـلمين، واتساع دائرة الاهتمام الإعلامـي والأكـاديمي بظـاهرة الإسـلاموفوبيا عـلى الصعيد الدولي.



- بطاقة تعريفية لمجلة الإكسبرس l'Express

هي مجلة أسبوعية فرنسية تنتمي إلى مجموعة (Express-Expansion) صدر أول أعدادها يوم 16 أيار/ مايو 1953م، الذي كان عبارة عن ملحق أسبوعي لصحيفة الأصداء (les Echos). كانت للمجلة مواقف معارضة للاستعمار الفرنسي للجزائر وقمع الثورة الجزائرية، كما نددت بتعسفات الجيش الفرنسي خلال الحرب الجزائرية.

وبسبب هذه المواقف تعرضت مجلة (الإكسبرس) عدة مرات للمنع والمصادرة، خصوصاً خلال حكم الجمهورية الفرنسية الرابعة. واستطاعت المجلة في وقت لاحق، برئاسة مديرها جان جاك سرفان شرايبر استقطاب مفكرين وفلاسفة فرنسيين مرموقين نشروا على صفحاتها أفكارهم أمثال ألبير كامو وجان بول سارتر وأندري مالرو وفرانسوا مرياك وفرانسوا سوغان. وفي سنة 1964م أصبحت (الإكسبرس) أول مجلة إخبارية في فرنسة مواكبة للتحولات الطارئة في المجتمع الفرنسي، ثم تحولت من الناحية السياسية إلى منبر إعلامي محايد برئيس تحريرها كلود إمبير (Claud Imbert) مع أن مديرها جان جاك سرفان شرايبر ظل في افتتاحيته السياسية قريباً من تيار يسار الوسط[1].

وفي سنة 1971م عرفت مجلة (الإكسبرس) أزمة كبيرة عندما أصبح مديرها جان جاك سرفان شرايبر ناطقاً رسمياً باسم الحزب الراديكالي (Valoisien)، مما دفع بمجموعة من الصحفيين العاملين بالمجلة إلى

---

[1] مصدر المعلومات المضمنة في هذه الورقة التعريفية بمجلتي (الإكسبرس) ولونوفيل أوبسرفاتور هو موسوعة (wikipedia) في موقعها على الإنترنت:
http: fr.wikipedia.org/wiki/l'Express- Le nouvel Observateur

الاستقالة. من بينهم كلود إمبير الذي أصدر مجلة لوبـوان (le Point) وخصـص العديد من افتتاحياتها لتشويه صورة الإسلام والمسلمين. وخـلال هـذه المرحلـة أصبحت مجلة (الإكسبرس) منبراً إعلامياً معارضاً لتيـار الديغوليـة الـذي كـان يتزعمه الرئيس جورج بومبيدو وأتباع الجنرال ديغول.

وفي سنة 1977م اشـترى رجـل الأعـمال والمـال Jimmy Goldsmith المجلـة فتغير كليـاً خطهـا التحريـري. وبعـد ذلـك بيعـت المجلـة لمجموعـة (Alcatel) المتخصصة في تقنية المعلومات والاتصالات في فرنسة، ثم لمجموعـة (Dassault) المتخصصة في الصناعات الفرنسية العسكرية، ومنذ 2006م أصبحت المجلـة في ملكية المجموعة البلجيكية (Roularta).

- بطاقة تعريفية لمجلة لو نوفيل أوبسرفاتور - (le Nouvel Observateur)

هي مجلة أسبوعية إخباريـة شـاملة فرنسـية صـدرت لأول مـرة يـوم 19 تشريــن الثــاني/ نــوفمبر 1964م تحــت اســم (فرنســة الملاحــظ France Observateur). وتنتمي إلى مجموعة (Perdriel).

وتعود أصـول هـذه المجلـة إلى مجلـة أسـبوعية فرنسـية مكونـة مـن 24 صفحة كانت تسـمى (الملاحـظ السـياسي والاقتصـادي والأدبي) (l'observateur politique, économique et littéraire) والتي صدر أول أعدادها يوم 13 نيسان/ أبريل 1950م في عشرين ألف نسخة.

وأسس هذه المجلة بعض قدماء المحاربين الفرنسيين المشاركين في الحـربين العـالميتين الأولى والثانيـة، وأصـبحت المجلـة سـنة 1953م تصـدر تحـت اسـم (الملاحظ اليوم) (l'observateur aujourd'hui) ثـم (فرنسـة الملاحـظ) (France observateur) سنة 1954م.

وفي بداية ظهورها كانت المجلة بأسمائها المختلفة، تمثـل منـبراً إعلاميـاً

متشبعاً بروح المقاومة اليسارية الفرنسية، مدافعاً عن استقلال المستعمرات الفرنسية، منددداً بالأعمال القمعية للحكومية الفرنسية في الجزائر.

ومع بداية سنة 1964م واجهت مجلة (France observateur) أزمة مالية خانقة، مما جعل كلود بردريال (Claude Perdriel) رجل الأعمال الفرنسي المهووس بالصحافة، وجان دانيال (Jean Daniel)، الصحفي والكاتب الفرنسي، يصدران بتاريخ 19 تشرين الثاني/ نوفمبر 1964م مجلة جديدة تحت عنوان لو نوفيل أوبسرفاتور (Le Nouvel Observateur).

ويتميز الخط التحريري لهذه المجلة بتبني مواقف التيار المعارض للحكومة الفرنسية المتمثل في اليمين الوسط. وهكذا استطاعت هذه المجلة استقطاب اهتمام القارئ الفرنسي إذ بلغ سنة 1974م عدد مسحوباتها 400 ألف نسخة بسبب خط تحريري واكب التحولات التي عرفتها منظومة القيم الأخلاقية والثقافية في المجتمع الفرنسي بعد أحداث أيار/ مايو سنة 1968م.

وفي سنة 1984م شهدت المجلة طفرة نوعية على مستوى الشكل والمضمون، حيث أصبحت تصدر في قالب مشابه لمجلة (New Magazine)، معتمدة على توجيه رسائلها الإعلامية عبر الأجناس الصحفية التي تستهوي القارئ الفرنسي؛ وهي الروبورتاج، والتحقيق، والمقابلات ذات الصلة بالأحداث الاجتماعية، كما أصدرت المجلة ملاحق ثقافية وفنية واقتصادية، وبذلك أصبحت المجلة ابتداء من سنة 1995 أول مجلة إخبارية في فرنسة.

ولمجلة (لونوفيل أوبسرفاتور) مواقف متعاطفة مع الكيان الصهيوني تجلت في تغطيتها المتحيزة للصراع العربي الإسرائيلي، كما أنها دأبت على اعتبار العمليات الفدائية للفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة أو خارجها عمليات إرهابية.

2-1-3- وحدات التحليل وفئات التحليل

لقـد سـعينا مـن وراء اسـتعمال تقنيـة تحليـل المضـمون إلى الوصـف الموضوعي للمضامين الظاهرة للكتابات الصحفية المتعلقة بالشخصية المسـلمة في الإعـلام الفـرنسي مـن خـلال مـا نشرتـه مجلتـا (الإكسـبرس) و(لونوفيـل أوبسرفاتور) حول هذا الموضوع، وما يـرتبط بالإسـلام والمسـلمين بصـفة عامـة داخل فرنسة وخارجها خلال المدة الزمنية من منتصف أيلول/ سـبتمبر 2001م إلى 31 كانون الأول/ ديسمبر 2004م.

غـير أنـه اتضـح لنـا في مرحلـة ثانيـة أن الاقتصـار فقـط عـلى الوصـف الموضـوعي لظـاهر المـادة الإعلاميـة المنشـورة في المجلتـين غـير كـاف لإبـراز اتجاهات الإعلام الفرنسي ومواقفـه. لـذلك أُضـيفَ إلى عمليتـي تقطيـع المـادة الإعلاميـة وتعـدادها عمليـةٌ ثالثـة؛ هـي تأويـل هـذه النصـوص، وذلـك بعـد تقطيعها وتعداد تكراراتها ونسبها المئوية؛ أي تحليل النتائج وتفسيرها.

*** وحدات التحليل**

لقد اخترنا وحدة الموضوع لأنها تمثل أهم وحدات التحليل وأوضحها، كما أنها تدل على فكرة مثبتة حول موضوع معين، جملة أو عبارة مختصرة محددة تشتمل على مجموعة من الأفكار التي يدور حولها التحليل. يضاف إلى ذلك أن وحدة الموضوع تعطي في الغالب، خـلال عمليـة التعـداد، تكـراراً واحـداً عـلى عكس وحدة الكلمة التي تعطي تكرارات كثيرة.

*** فئات التحليل**

اعتمدنا في هذه الدراسة فئتين هما فئة (ماذا قيل) وفئة (كيف قيل).

والمقصود بها فئة المضمون؛ وتتمحور حول مضمون المادة الإعلامية

المنشورة في أعداد المجلتين/العينة القصدية خلال مدة الدراسة (2001-2004م).

*** الشبكة المستعملة في التحليل**

لتحليل محتوى المواد المنشورة في مجلتي العينة استعملنا شبكة مكونة من خمس وحدات تحليل كبرى هي:

المقال التحليلي- المقال الإخباري- التحقيق - الاستطلاع- الاستجواب. ومن سبع فئات تحليل كبرى هي:

الإسلام، المسلمون في فرنسة، قضية الحجاب، وضعية المرأة المسلمة، الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي، قيادات إسلامية، الحركات الإسلامية في العالم.

2-2- خصائص المضامين الإعلامية

أولاً: عرض مضمون المواد الإعلامية

لدراسة مضمون المادة الإعلامية ذات الصلة بالشخصية المسلمة من منظور مجلتي العينة (الإكسبرس)

و (لونوفيل أوبسرفاتور) خلال مدة الدراسة الممتدة من أيلول/ سبتمبر 2001م إلى كانون الأول/ ديسمبر 2004م، قمنا بعرض مختلف البيانات الإحصائية المتعلقة بمضامين المادة الإعلامية وتحديد اتجاهات مضمون مجلتي العينة، ثم أخيراً توصيف مصادر الموضوعات المدروسة.

- تكرار الموضوعات ذات الصلة بالشخصية المسلمة في مجلتي (الإكسبرس) و(لونوفيل أوبسرفاتور)

اعتمدنا الموضوع وحدةً للتحليل، فقمنا بتشريح الموضوع في مرحلة ثانية إلى مواضيع فرعية. وعلى هذا الأساس تم إجراء عملية حساب التكرارات،

فكانت النتائج طبقاً للمعطيات المبينة في الجدولين رقم(2) و(3):

جدول رقم (2)

عدد المواد الإعلامية المتعلقة بالشخصية المسلمة المنشورة في مجلتي العينة

	الإكسبرس		لونوفيل أوبسرفاتور			
فئات التحليل الكبرى	**التكرار**	**النسبة**	**التكرار**	**النسبة**	**المجموع**	**النسبة**
1- الإسلام	19	%24.05	51	%46.78	70	%37.23
2- المسلمون في فرنسة	22	%27.84	11	%10.09	33	%17.55
3- قضية الحجاب	8	%10.12	6	%5.50	14	%7.44
4- المرأة المسلمة	4	%5.06	2	%1.83	6	%3.19
5- الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي	14	%17.72	11	%10.09	25	%13.29
6- قيادات إسلامية	7	%8.86	12	%11.08	19	%10.10
7- الحركات الإسلامية في العالم	5	%6.32	16	%14.67	21	%11.17
المجموع	79		109		188	%99.97

جدول رقم (3)

عدد ونسبة المواد الإعلامية المنشورة في مجلتي العينة

فئات التحليل الكبرى	المواضيع الفرعية	مجلة الإكسبرس	مجلة لونوفيل أوبسرفاتور	المجموع	النسبة
1- الإسلام	1-الإسلام والحداثة والإصلاح الديني	2	11	13	%18.57
	2- المذهب الشيعي	1	-	01	%1.42
	3-التعصب الديني	3	03	06	%8.57
	4-الإسلام والأديان السماوية	-	14	14	%2.0
	5-الإسلام والعلمانية	3	-	03	%4.28
	6-العادات والتقاليد الإسلامية	-	03	03	%4.28
	7-الإسلام والغرب وحوار الحضارات	4	06	10	%14.28
	8-الإسلام وظاهرة الإرهاب	6	12	18	%25.71
	9-الإسلام والجهاد والمقاومة	-	2	2	%02.57
2- المسلمون في فرنسة	10-الإسلام الفرنسي	5	1	6	%18.18

	11-الأوضاع الاجتماعية وقضايا الاندماج	8	6	14	%42.42
	12-أموال المسلمين	1	1	2	%6.06
	13-المنظمات الإسلامية في فرنسة	8	3	11	%33.33
3- قضية الحجاب	14-الحجاب في المدارس الفرنسية	4	3	7	%50
	15-الحجاب وقيم الجمهورية الفرنسية	2	3	5	%35.71
	16-الحجاب وحقوق الإنسان	2	-	2	%14.28
4- المرأة المسلمة	17-المساواة مع الرجل	1	1	2	%33.33
	18-موقف الإسلام من المرأة	1	1	2	%33.33
	19-حرية المرأة في المجتمعات الإسلامية	2	-	2	%33.33
5- الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي	20-النظام السعودي	2	3	5	%20
	21-النظام التركي	2	2	4	%16
	22-النظام الإيراني	1	-	1	%4
	23-النظام الإماراتي	1	1	2	%8
	24-النظام الجزائري	7	5	12	%48
	25-النظام الباكستاني	-	1	1	%4
6- قيادات إسلامية	26-أسامة بن لادن	03	07	10	%52.63
	27-طارق رمضان	02	02	04	%21.05
	28-محمد أركون	01	01	02	%0.52
	29-معمر القذافي	-	01	01	%5.26
	30-ياسر عرفات	01	01	02	%10.52
7- الحركات - الإسلامية في العالم	31-تنظيم القاعدة	02	12	14	%66.66
	32-حركة طالبان	02	03	05	%23.80
	33-حركة (حماس)	01	01	02	9 %9.52
المجموع العام		79	109	188	

ثانياً: اتجاهات مضمون المواد الإعلامية

قمنا بقياس اتجاه المضمون في مجلتي العينة نحو الشخصية المسلمة في جوانبها المختلفة بقصد تحديد اتجاه المجلتين وموقفهما من الموضوع (محبذ، غير محبذ، محايد). وتبعاً لذلك توصلنا إلى المعطيات المبينة في الجدول التالي:

جدول رقم (4)

اتجاهات مضمون المواد الإعلامية في مجلتي العينة

فئات التحليل الكبرى	المجلة	الاتجاهات			المجموع
		المحبذ	غير المحبذ	المحايد	
1- الإسلام	الإكسبرس	6	81	14	102
	لونوفيل أوبسرفاتور	4	93	17	114
2-المسلمون في فرنسة	الإكسبرس	7	125	8	140
	لونوفيل أوبسرفاتور	5	118	16	139
3- قضية الحجاب	الإكسبرس	4	17	2	23
	لونوفيل أوبسرفاتور	2	16	4	22
4- المرأة المسلمة	الإكسبرس	3	9	1	13
	لونوفيل أوبسرفاتور	4	18	6	28
5-الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي	الإكسبرس	2	77	21	100
	لونوفيل أوبسرفاتور	4	61	27	92
6-قيادات إسلامية	الإكسبرس	2	83	4	89
	لونوفيل أوبسرفاتور	7	72	3	82
7-التنظيمات الإسلامية في العالم	الإكسبرس	-	55	5	60
	لونوفيل أوبسرفاتور	-	47	9	86
المجموع		24	447	56	
		26	425	82	
المجموع العام		50	872	138	1060

ثالثاً: مصادر المواد الإعلامية

آخذين بعين الاعتبار الأهمية التي تستمدها المادة الإعلامية من طبيعة مصادرها، فقد قمنا برصد طبيعة مصادر المواد الإعلامية المنشورة في مجلتي العينة خلال المدة 2001-2004م. وصنفنا مصادر مضمون المواد الإعلامية ذات الصلة بموضوع الدراسة إلى أربعة أنواع هي: المحررون الرسميون، المحررون المتعاونون، رئيس تحرير المجلة، توقيعات مختزلة أو مستعارة.

وتبعاً لذلك توصلنا إلى المعطيات المبينة في الجدول التالي:

جدول رقم (5)

تصنيف مصادر مضمون المواد الإعلامية المنشورة في مجلتي العينة

فئات التحليل الكبرى	المجلة	المحررون الرسميون	المحررون المتعاونون	رئيس التحرير	توقيعات مختزلة	المجموع
1- الإسلام	الإكسبرس	5	3	7	4	19
	لونوفيل أوبسرفاتور	26	9	10	6	51
2-المسلمون في فرنسة	الإكسبرس	7	10	2	3	22
	لونوفيل أوبسرفاتور	3	2	5	1	11
3-قضية الحجاب	الإكسبرس	5	1	2	-	8
	لونوفيل أوبسرفاتور	2	1	3	-	6
4-المرأة المسلمة	الإكسبرس	3	1	-	-	4
	لونوفيل أوبسرفاتور	1	-	1	-	2
5-الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي	الإكسبرس	2	6	4	2	14
	لونوفيل أوبسرفاتور	1	2	7	1	11
6-شخصيات إسلامية	الإكسبرس	3	3	1	-	7
	لونوفيل أوبسرفاتور	4	5	3	-	12
7-التنظيمات الإسلامية في العالم	الإكسبرس	2	3	-	-	5
	لونوفيل أوبسرفاتور	4	10	2	-	16
المجموع	الإكسبرس	27	27	16	9	79
	لونوفيل أوبسرفاتور	41	29	31	8	109
المجموع العام		68	56	47	17	188
النسبة		%36.17	%29.78	%25	%9.04	%99.99

رابعاً: عرض شكل المواد الإعلامية

لعرض شكل المواد الإعلامية ذات الصلة بالشخصية المسلمة المنشورة في مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور خلال مدة الدراسة الممتدة من أيلول/ سبتمبر 2001م إلى كانون الأول/ ديسمبر 2004م، قمنا بدراسة الجوانب المتعلقة بالشكل الخارجي للمواد الإعلامية الخاضعة للتحليل.

وفي هذا الإطار سعينا إلى تصنيف القوالب الصحفية التي قدمت بها مجلتا العينة المواد الإعلامية، ودراسة الموقع الذي اختارته مجلتا العينة لنشر المواد الإعلامية ذات الصلة بموضوع الدراسة، ثم عرض عدد الصور ورسوم الكاريكاتير ذات الصلة بالشخصية المسلمة ونوعيتها المنشورة في مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور.

- الأجناس الصحفية المتضمنة لموضوع الدراسة بمجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور

تنتمي الأجناس الصحفية (المقال التحليلي- المقال الإخباري- التحقيق- الاستطلاع- الاستجواب) إلى ما يسمى بصحافة التحري التي تفرض على الصحفي أن يصارح الجمهور بما يعرفه حقاً عن موضوع معين، أو بغير المعروف بالنسبة إلى هذا الجمهور أو المسكوت عنه.

واستناداً إلى آداب مهنة الصحافة المتعارف عليها دولياً والتي أكدتها العديد من الإعلانات والمواثيق الصادرة عن الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو والفدرالية الدولية للصحفيين[1]، فإن صحافة التحري تتطلب من الصحفي مقاومة إغواء تقديم أخبار أو وقائع مشكوك فيها، غير مثبتة

---

[1] د. جمال الدين ناجي: وسائل الإعلام والصحفيون، موجز آداب المهنة، منشورات وزارة حقوق الإنسان، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، كانون الثاني/ يناير 2004م، 150 .

وضعيفة التقاطع في رواياتها، واستبعاد اللجوء إلى وقائع متخيلة، أو منقولة عن مصادر وهمية.

كما أن صحافة التحري لا تسمح للصحفي أن يكون عدوانياً ولا مناصراً لمعسكر ضد معسكر آخر، ولذلك تحرّم صحافة التحري على نفسها اقتحام الحياة الخاصة للأفراد، ما لم تكن حجة معينة أو اعتبار مقبول قد أثبتا جدوى هذا التدخل اعتباراً للصالح العام. إن صحافة التحري تفترض أسلوباً ومضموناً يتصفان بالاعتدال واللياقة والاحتشام، ويترفعان عن الإهانة.

لهذه الاعتبارات اخترنا الأجناس الصحفية المذكورة سلفاً بهدف إبراز الجانب الكمي الإحصائي لهذه الأجناس في تناولها لموضوع الدراسة، وكذلك السعي إلى تحليل مضمون هذه الأجناس الصحفية لمعرفة مدى التزام مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور بمبادئ آداب مهنة الصحافة المتعارف عليها دولياً، واختبار مدى تقيد الخط التحريري للمجلتين بهذه الآداب خلال تغطية الأحداث والقضايا ذات الصلة بالإسلام والمسلمين في فرنسة وخارجها.

جدول رقم (6)

عدد ونوعية الأجناس الصحفية الموظفة في مجلتي العينة

فئات التحليل	المجلة	المقال التحليلي	المقال الإخباري	الاستجواب	الاستطلاع	التحقيق	المجموع
الإسلام	الإكسبرس	6	3	5	1	4	19
	لونوفيل أوبسرفاتور	32	8	6	2	3	51
المسلمون في فرنسة	الإكسبرس	12	2	2	1	5	22
قضية الحجاب	لونوفيل أوبسرفاتور	3	3	1	-	4	11
	الإكسبرس	4	1	1	1	1	8
المرأة المسلمة	لونوفيل أوبسرفاتور	2	2	-	1	1	6
	الإكسبرس	3	-	1	-	-	4
الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي	لونوفيل أوبسرفاتور	1	-	-	-	1	2
	الإكسبرس	3	2	1	4	4	14

قيادات إسلامية	لونوفيل أوبسرفاتور	1	1	1	5	3	11
	الإكسبرس	1	2	2	1	1	7
	لونوفيل أوبسرفاتور	6	1	2	-	3	12
الحركات الإسلامية في العالم	الإكسبرس	-	2	-	2	1	5
	لونوفيل أوبسرفاتور	2	7	2	2	3	16
المجموع	الإكسبرس	29	12	12	10	16	79
	لونوفيل أوبسرفاتور	47	22	12	10	18	109
المجموع العام		76	34	24	20	34	188
النسبة		%4.42	%18.08	%12.76	%10.63	18.08 %	%99.97

خامساً: مواقع نشر المواد الإعلامية

يعد الموقع الذي نشرت به المادة الإعلامية في الصحافة المكتوبة من العوامل الخارجية التي تزيد من أهمية الموضوع، وتعكس موقفاً معيناً أو رغبة محددة في توجيه القراء نحو قناعات أو تفاسير ترغب فيها إدارة الوسيلة الإعلامية المكتوبة. لذلك ينظر محللو المضمون إلى الموقع من ناحيتين: رقم الصفحة التي نشرت فيها المادة الإعلامية؛ أي ترتيبها ضمن مجموع صفحات المجلة، ثم المكان في الصفحة.

إن توزيع المادة الإعلامية ذات الصلة بموضوع هذه الدراسة على صفحات مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور ليس عشوائياً، بل يحمل دلالات ومعاني عديدة يساعد تحليلها وتفسيرها في توضيح اتجاهات المجلتين ومواقفهما من القضايا المرتبطة بالشخصية المسلمة في أبعادها المتعددة والمتنوعة.

ولهذه الاعتبارات قمنا بدراسة طبيعة المواقع التي اختارتها كل من مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور، لنشر المواد الإعلامية ذات الصلة بالإسلام والمسلمين. وقد تم اختيار أربعة مواقع اتضح لنا من الدراسة الاستطلاعية لعينة البحث، أنها هي الأكثر حضوراً. ويتعلق الأمر بالمواقع التالية: (الغلاف، صفحة واحدة، ثلاث صفحات، أكثر من ثلاث صفحات).

وتجدر الإشارة إلى أن المقصود بالموقع ليس هو رقم الصفحة أو ترتيبها في مجلتـي الإكسـبرس ولونوفيـل أوبسرفـاتور، وإنمـا المقصـود بـذلك هـو عـدد الصفحات؛ أي الحيز المكاني، الذي خصصته المجلتان لنشر المواد الإعلاميـة ذات الصلة بالشخصية المسلمة خلال مدة الدراسة 2001-2004م. ويتضمن الجدول التالي المعطيات الإحصائية ذات الصلة بمواقع المواد الإعلامية في مجلتي العينة:

جدول رقم (7)

حجم التكرارات المتعلقة بمواقع نشر المواد الإعلامية في مجلتي العينة

فئات التحليل الكبرى	المجلة	الغلاف الخارجي	صفحة واحدة	ثلاث صفحات	أكثر من 3 صفحات
1- الإسلام	الإكسبرس	4	8	6	5
	لونوفيل أوبسرفاتور	7	14	32	5
2- المسلمون في فرنسة	الإكسبرس	8	4	12	6
	لونوفيل أوبسرفاتور	6	4	3	4
3- قضية الحجاب	الإكسبرس	3	2	4	2
	لونوفيل أوبسرفاتور	1	2	2	2
4- المرأة المسلمة	الإكسبرس	5	1	3	-
	لونوفيل أوبسرفاتور	3	-	1	1
5- الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي	الإكسبرس	-	3	3	8
	لونوفيل أوبسرفاتور	-	2	1	8
6- قيادات إسلامية	الإكسبرس	5	4	1	2
	لونوفيل أوبسرفاتور	4	3	6	3
7- الحركات الإسلامية في العالم	الإكسبرس	10	2	-	3
	لونوفيل أوبسرفاتور	4	9	2	5
المجموع	الإكسبرس	35	24	29	26
	لونوفيل أوبسرفاتور	25	34	47	28
المجموع العام		60	58	76	54

سادساً:الصور ورسوم الكاريكاتور المستعملة

تقوم الصور الفوتوغرافية ورسوم الكاريكاتور بدورفاعل في توضيح النص وتبليغ معانيه إلى القارئ، بل التأثير فيه وتوجيهه نحو مواقف معينة، كما تساعد هذه الوسائل في تقديم البرهان البصري وتعزيز النص بعناصر إضائية إعلامية.

لقد أحصينا الصور ورسوم الكاريكاتور المنشورة في مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور، فتوصلنا إلى المعطيات المبينة في الجدول التالي:

جدول رقم (8)

عدد ونسب الصور ورسوم الكاريكاتور المنشورة في مجلتي العينة

فئات التحليل الكبرى	المجلة	عدد الصور	النسبة	عدد رسوم الكاريكاتور	النسبة	المجموع
1- الإسلام	الإكسبرس	62	%24.50	-	-	62
	لونوفيل أوبسرفاتور	89	%29.27	-	-	89
2- المسلمون في فرنسة	الإكسبرس	59	%23.32	-	-	59
	لونوفيل أوبسرفاتور	36	%11.84	-	-	36
3- قضية الحجاب	الإكسبرس	16	%6.32	07	%36.84	23
	لونوفيل أوبسرفاتور	08	%2.63	02	%50	10
4- المرأة المسلمة	الإكسبرس	08	%3.16	03	%15.78	11
	لونوفيل أوبسرفاتور	03	%0.48	-	-	03
5- الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي	الإكسبرس	42	%16.60	-	-	42
	لونوفيل أوبسرفاتور	50	%16.44	-	-	50
6- قيادات إسلامية	الإكسبرس	36	%14.22	06	%31.57	42
	لونوفيل أوبسرفاتور	46	%15.13	01	%25	47
7- الحركات الإسلامية في العالم	الإكسبرس	30	%11.85	03	%15.78	33
	لونوفيل أوبسرفاتور	72	%23.68	01	%25	73
المجموع	الإكسبرس	253	%99.97	19	%99.97	
	لونوفيل أوبسرفاتور	304	%99.47	04	%100	
المجموع العام		557	-	23	-	580

2-3- استنتاجات وخلاصات

دلت النتائج على أن مجلتي الإكسبرس ولو نوفيل أوبسرفاتور اهتمتا بالشخصية المسلمة على مستويين:

أ) **المستوى الكمي** : وتبلور في عدد المواد الإعلامية المنشورة بشأنه والتي بلغت في مجموعها 188 مادة إعلامية. وقد تم نشر أكثر هذه المواد في مجلة لونوفيل أوبسرفاتور بما مجموعه 109 مواد إعلامية، في حين بلغ مجموع المواد الإعلامية المنشورة في مجلة الإكسبرس 79 مادة إعلامية.

ب) **المستوى النوعي** : ويتمثل في أن المعالجة الإعلامية للشخصية المسلمة شملت المرتكزات الأساسية لهذه الشخصية ومظاهرها المختلفة. فبالنسبة إلى المرتكزات أبدت المجلتان اهتماماً ملحوظاً بالإسلام بوصفه المرجعية الدينية والفكرية والثقافية والسلوكية التي تؤطر الشخصية المسلمة وتحدد سماتها المختلفة. وفيما يتعلق بالمظاهر المجسدة للشخصية المسلمة، فقد اهتمت المجلتان بنسب متقاربة بشخصية الإنسان المسلم المقيم في فرنسة (المسلمون في فرنسة)، وبالحجاب بوصفه أحد المظاهر الخارجية المميزة لشخصية المرأة المسلمة. وفيما يخص الجوانب السياسية للشخصية المسلمة، اهتمت مجلتا الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور ببعض الأنظمة السياسية الرسمية التي تمثل ثقلاً سياسياً واقتصادياً ودينياً في العالم الإسلامي كالسعودية وإيران وباكستان والجزائر والإمارات وتركية. وفي الإطار نفسه تطرقت المجلتان إلى بعض الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي ذات الصلة بالعمل السياسي.

كما أبانت النتائج المحصلة من خلال توظيف معامل عدم التوازن

ودرجة الحدة أن مواقف مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور واتجاهاتهما كانت سلبية بنسبة عالية.كما أوضح تحليل النتائج أن تلك المواقف والاتجاهات كانت مرتبطة بالأحداث السياسية والثقافية التي شهدتها فرنسة بصفة خاصة والعالم بصفة عامة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001م، وخاصة ما يتعلق منها بما يلي:

- تداعيات قرار منع الحجاب في المدارس الفرنسية.
- الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية في مجال تنظيم الشأن الديني الإسلامي في فرنسة وترويج مفهوم (الإسلام الفرنسي) بديلاً عن (الإسلام الراديكالي) و(الإسلام الوافد من خارج فرنسة).
- القرارات الحكومية في فرنسة ذات الصلة بإقامة المهاجرين وتقنين شروط الإقامة والحصول على الجنسية.
- الانفجارات التي وقعت في باريس سنة 2002م.
- المظاهرات العنيفة التي شهدتها ضواحي مدن باريس ومرسيلية وليون، والتي شارك فيها الجيلان الثالث والرابع من أبناء الجاليات المسلمة في فرنسة.
- انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم وسعيها الحثيث إلى إشراك الدول الأوربية في الحرب ضد (الإرهاب الإسلامي) والقضاء على الحركات الإسلامية وشبكاتها داخل أوربة ودول العالم الإسلامي.
- النقاش الأكاديمي الواسع حول أطروحة نظرية صراع الحضارات في ضوء ارتفاع عدد التفجيرات والعمليات الانتحارية (لمجاهدين) مسلمين في مختلف بقاع العالم.
- الاختلاف الفكري حول ظاهرة العولمة، ومبدأ التنوع الثقافي، وحوار الأديان.

وتبين من نتائج الدراسة التحليلية لمضامين عينة البحث وجود أربعة أنواع من المصادر وهي: (المحررون الرسميون، المحررون المتعاونون، رؤساء التحرير، توقيعات مختزلة أو مستعارة). كما أكدت النتائج وجود تباين بين مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور بخصوص نوعية المصادر التي تم الاعتماد عليها، إذ إن مجلة الإكسبرس اعتمدت في المقام الأول على محررين متخصصين متعاونين من خارج هيئة التحرير. في حين اعتمدت مجلة لونوفيل أوبسرفاتور بنسبة عالية على إمكانياتها الذاتية؛ أي على المحررين الرسميين العاملين فيها.

كما كشفت النتائج أن المجلتين وظفتا في الدرجة الأولى المقال التحليلي ثم التحقيق بعده، وكانت الغاية من اختيار المجلتين لهذين النوعين المهمين من الأجناس الصحفية هي تحليل المعطيات والمعلومات والأحداث ذات الصلة بالإسلام والمسلمين، وليس تقديم أخبار بشأنهما.

ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن التلفزة الفرنسية على اختلاف أنواعها تقدم للمواطن الفرنسي كمّاً هائلاً من الأخبار حول المسلمين داخل فرنسة وخارجها. ولذلك ارتأت مجلتا الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور أن تقدما لهذا المواطن قراءة تحليلية لهذه الأخبار، يتم من خلالها مخاطبة مخيلته وتوجيهه نحو مواقف سلبية من الإسلام والمسلمين، تتجاوب مع الصور النمطية والتمثلات المترسبة في عقله حول الإسلام والمسلمين عن طريق كتابات المستشرقين ومضامين الكتب والمقررات المدرسية.

لقد خصصت مجلتا الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور أغلفة 60 عدداً من أعدادهما الصادرة خلال المدة 2001-2004م لنشر صورة أو موضوع أو عنوان متصل بالإسلام والمسلمين. كما أولت المجلتان أهمية واضحة لحجم الحيز المكاني المخصص لنشر المواضيع المتعلقة بالإسلام

والمسلمين؛ إذ تجاوز هذا الحيز ثلاث صفحات لأكثر من130 مادة إعلامية من المجموع الإجمالي للمواد الإعلامية البالغ 188 مادة.

وبالنظر إلى ارتفاع عدد قراء مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور طبقاً للإحصائيات الرسمية للجهات المتخصصة في فرنسة، فإنه من الطبيعي أن تحرص المجلتان، لأسباب تجارية ومعنوية، على الحفاظ على عدد قرائهما. ولعل أنجع السبل إلى ذلك، المواظبة على إصدار كثير من أعدادهما بأغلفة جذابة وعناوين مثيرة، بالإضافة إلى تقديم التحاليل والتقارير التي تستهوي القارئ وتعزز مخزون تصوراته السلبية تجاه الإسلام والمسلمين داخل فرنسة وخارجها.

وبخصوص أبرز سمات الشخصية المسلمة المضمنة في الخطاب الإعلامي بمجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور أظهرت نتائج تحليل المواد الإعلامية المنشورة في المجلتين أن مضامين هذه المواد عكست رؤية نمطية سلبية عن الشخصية المسلمة في جوانبها المختلفة وذلك على النحو التالي:

* الإسلام دين متخلف ومنغلق ورافض للتحديث والإصلاح ومواكبة العصر.

* الإسلام غير متسامح، عنيف متطرف.

* المسلمون في فرنسة ثلاثة أنواع من الشخصيات:

- مجرمون عاطلون عن العمل.

- كادحون يعشقون النساء والتوالد وجمع المال.

- متعلمون رافضون لقيم العلمانية وراغبون في تحويل فرنسة إلى بلد إسلامي.

* المرأة المسلمة مهضومة الحقوق، ومحتقرة في النصوص الدينية، وأقل شأناً من الرجل في العادات والمعاملات الاجتماعية والمالية (الإرث).

* الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي استبدادية، غير ديمقراطية، توظف الدين لتسويغ وصايتها على المواطنين، وإضفاء الشرعية على احتكارها السلطة.

* الحركات الإسلامية في العالم جماعات أصولية، إرهابية، تمثل الوجه المتطرف للإسلام السياسي.

ودلت نتائج الدراسة على أن التغطية الصحفية لمجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور لقضايا الإسلام والمسلمين كانت متحيزة وانتقائية، ويتجلى ذلك في ترويج رؤى ومفاهيم وتفاسير من زاوية واحدة دون إتاحة الفرصة للقارئ ليطلع على الرأي الآخر، سواء كان لمسلم أو لغير مسلم. ولم يكن الحياد بالمواصفات المهنية الصحفية حاضراً في المعالجة الإعلامية للمجلتين لقضايا الإسلام والمسلمين. وتجلى ذلك في قيام المجلتين بانتقاء عدد من القضايا التي تحظى باهتمام القارئ، وإغفال قضايا أخرى لأسباب تعود إلى توجهات إدارة المجلتين أو الجهات المساهمة في رأس مالهما.

ومن أمثلة ذلك تركيز مجلة الإكسبرس على النزاعات العسكرية التي يشهدها العالم الإسلامي أكثر من اهتمامها بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتربوية المطروحة بحدة في كثير من الدول الإسلامية، ولعل ذلك راجع إلى أن للمجلة ارتباطات مالية وإدارية بشركة داسو للصناعات الحربية في فرنسة.

ويستفاد من تحليل المواد الإعلامية المنشورة بمجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور أن مضامين هذه المواد كانت غنية بمواقف واتجاهات سلبية إزاء الإسلام والمسلمين، تبلورت في صور نمطية تقرن الإسلام بالعنف والقتل، وتصف المسلمين بالمتوحشين والمتخلفين والمتطرفين. وهي صور تبعث على الخوف من الإسلام والتوجس من المسلمين.

والدليل على ذلك أن المجلتين لم تخصصا طيلة مدة الدراسة أي تحقيق مفصل حول ظاهرة (الإسلاموفوبيا) أو أي ملف خاص يسلط الضوء على الجوانب الحقيقية لهذه الظاهرة.

وفيما يتعلق بخصوصيات الخطاب الإعلامي حول الإسلام والمسلمين في مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور مقارنة بالمواقف الرسمية والشعبية في فرنسة، يمكن القول بأن الخطاب الإعلامي حول الإسلام والمسلمين في المجلتين كان مختلفاً في بعض جوانبه عن موقف الحكومة الفرنسية، ومتوافقاً من جهة أخرى، نسبياً، مع الموقف الشعبي ممثلاً في الأحزاب السياسية وهيئات المجتمع المدني.

لقد عكس الخطاب الإعلامي حول قضايا الإسلام والمسلمين في المجلتين الانقسام الحاصل بين المواقف الرسمية الشعبية بخصوص كثير من قضايا المسلمين داخل فرنسة وخارجها. فإذا كانت الحكومة الفرنسية من أكثر الحكومات الأوربية تعاطفاً مع القضايا العربية والإسلامية، مما جعل علاقاتها مع أغلب الدول الإسلامية جيدة، فإن ذلك لم يمنعها من اتخاذ إجراءات صارمة وعنصرية في حق المهاجرين المسلمين. كما أنها لم تأخذ بعين الاعتبار مستوى العلاقات التاريخية والاقتصادية المتميزة التي تجمعها بكثير من الدول الإسلامية، حين فرضت قانون منع الحجاب في المدارس، ونهجت سياسة طرد المهاجرين من أصول إسلامية وعربية، وضيقت الخناق على كثير من المنظمات الإسلامية في فرنسة التي تعتمد على تمويل بعض الدول الإسلامية. وبالنسبة إلى الأحزاب السياسية، فإن الخطاب الإعلامي لمجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور كان متجاوباً خصوصاً مع أحزاب اليمين المتطرف وفي مقدمتها حزب الجبهة.

لقد أثبتت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباط بين الاتجاه السلبي لرؤية مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور للشخصية المسلمة، والأحداث

السياسية والثقافية التي شهدها العالم بصفة عامة، وفرنسة على وجه الخصوص بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001م.

ومن خلال مقارنة نتائج هذه الدراسة مع نتائج الدراسة التي أنجزها الباحث الجزائري رابح صادق حول موضوع (الإسلام في الخطاب الإعلامي الفرنسي من خلال مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور 1984-1989م) اتضح لنا أن رؤية الخطاب الإعلامي الفرنسي حول الشخصية المسلمة ازدادت سوءاً وتشويهاً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001م.

وإذا كان الباحث رابح صادق قد توصل في دراسته المذكورة إلى أن الصورة المشوهة للإسلام هي بالأساس حصيلة التراكمات السلبية حول الإسلام داخل التاريخ الغربي، وبعض الممارسات السائدة بين أوساط الجاليات والأقليات المسلمة في فرنسة بصفة خاصة، وداخل المجتمعات الإسلامية بصفة عامة، فإن نتائج دراستنا حول رؤية الإعلام الفرنسي للشخصية المسلمة أكدت من جهة استمرار تأثير التراكمات السلبية حول الإسلام داخل التاريخ الغربي في الصناعة الإعلامية للصور النمطية المشوهة للإسلام والمسلمين، وكشفت تلك النتائج، من جهة ثانية، متغيراً جديداً كان له دور أكثر تأثيراً في صناعة الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين وانتشار ظاهرة الخوف من الإسلام.

ويتمثل هذا المتغير الجديد في الأحداث السياسية والثقافية التي شهدها العالم بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي، وظهور ما اصطلح عليه بـ (النظام العالمي الجديد)، الذي صاغته قوة الهيمنة والسيطرة بقصد وضع تنميط سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وإعلامي واحد، وفرضه على المجتمعات الإنسانية، وإلزام الحكومات بالتقيد به وتطبيقه، ثم انفجارات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001م

التي شكلت حدثاً تاريخياً فتح صفحة جديدة في مسار العلاقات الدولية مع بداية الألفية الثالثة في إطار النظام العالمي الجديد.

لقد تميزت هذه الحقبة بانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم وتدخلها العسكري في مناطق عديدة من المعمورة، خاصة في الشرق الأوسط، بدعوى استئصال جذور الإرهاب، ونشر قيم الديمقراطية والحرية لنفع شعوب العالم الثالث. وعلى المستوى الثقافي شهدت هذه المرحلة بداية سجال فكري واسع تمحور حول مفاهيم صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، ومقومات الهوية الثقافية، وتحديات العولمة، وإشكالية التنوع الثقافي، والحوار بين الثقافات، والتحالف بين الحضارات، والتعايش بين الأديان.

كما أكدت نتائج الدراسة أن الخطاب الإعلامي لمجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور كان يستلهم توجهاته من أطروحة نظرية الصراع بين الحضارات، ومن ثم رسخت المواد الإعلامية المنشورة في المجلتين لدى القارئ الفرنسي فكرة أن الحضارة الإسلامية ظلت عبر التاريخ تسعى إلى القضاء على الحضارة الغربية، وأن الإسلام يمثل عدواً شرساً لقيم الحداثة والديمقراطية. وأوضحت نتائج البحث أن الخطاب الإعلامي لمجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور ساهم في انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام والمسلمين في فرنسا، من خلال استنباط علاقة مفترضة بين مثير يتمثل في المضامين والصور والمواقف السلبية من الإسلام والمسلمين، واستجابة تتجلى في خوف الفرنسيين من المسلمين وليس من الإسلام.

إن الواقع المعيش اليوم في الأماكن العامة والمطارات ومحطات القطار في مختلف المدن الفرنسية يؤكد أن المواطن الفرنسي أصبح يخاف من أي شخص ذي ملامح عربية إسلامية ويتوجس منه، بل تنامت ظاهرة

العنصرية وكراهية الأجانب، والتسرع في اتهام المسلمين كلما وقع فعل إجرامي أو عمل غير قانوني.

وأبرزت نتائج الدراسة تناقض الخطاب الإعلامي في مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور حول قضايا الإسلام والمسلمين مع مبادئ الثورة الفرنسية ومع المواقف الرسمية للحكومة الفرنسية. فإذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية تتجسد في شعار (الحرية، والمساواة، والإخاء)، وتدعو إلى احترام حقوق الإنسان، فإن الخطاب الإعلامي لمجلي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور تضمن كثيراً من المواقف التي عارضت حرية الانتماء الديني والثقافي للمسلمين في فرنسة (منع الحجاب، مراقبة المنظمات الإسلامية في فرنسة)، كما تعامل هذا الخطاب الإعلامي مع الجاليات والأقليات المسلمة في فرنسة بنظرة دونية تحقيرية تنعدم فيها قيم المساواة والإخاء، بل عدّهم مواطنين من الدرجة الثانية مع أنهم يحملون الجنسية الفرنسية.

من جهة أخرى أكدت نتائج الدراسة تناقض الخطاب الإعلامي في مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور مع الموقف الرسمي للحكومة الفرنسية. لقد ظلت الحكومة الفرنسية منذ الستينيات من القرن العشرين مناصرة لكثير من قضايا المسلمين، خصوصاً فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، كما عارضت التدخل الأمريكي في العراق، بالإضافة إلى ارتباط الحكومة الفرنسية بعلاقات تعاون اقتصادية وثقافية متميزة مع كثير من الدول الإسلامية في إطار المصالح المشتركة والأعراف الدبلوماسية المتفق عليها.

لقد بين تحليل مضمون المواد الإعلامية وشكلها وجود نظرة أحادية لهيئة تحرير مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور في معالجة القضايا المتصلة بالإسلام والمسلمين. وتستند تلك النظرة إلى مقولة صراع

الحضارة الإسلامية مع الحضارة الغربية، وانعكاس ذلك على سلوكيات المسلمين العنيفة والرافضة لقيم العلمانية والحداثة والديمقراطية.

كما أن تلك النظرة الأحادية تمثلت في أن الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور لم تنشرا مواقف وآراء مفكرين ومثقفين وإعلاميين من العالم الإسلامي بخصوص القضايا المطروحة ذات الصلة بالإسلام والمسلمين داخل فرنسة وخارجها، مما قلل من درجة الموضوعية في المعالجة الإعلامية للمجلتين بفعل تغييب أو تهميش الرأي الآخر .

خلاصة عامة

لقد استنتجنا من تحليل مكونات رؤية الإعلام الفرنسي للشخصية المسلمة وجود ثلاثة عوامل رئيسة تقف وراء الصورة السلبية للشخصية المسلمة في الصحافة المكتوبة في فرنسة:

- **العامل الأول:**

ويتعلق بالتراكمات السلبية المرتبطة بالإطار التاريخي والفكري لرؤية الإعلام الغربي للإسلام والمسلمين، حيث كانت الرؤية متصلة اتصالاً وثيقاً بثلاثة أمور هي:

أ- **سيرورة تطور رؤية الغرب للإسلام :** وكانت هذه الرؤية في بدايتها رؤية كنسية (نسبة إلى الكنيسة في القرون الوسطى) قائمة على العداء والريبة، ثم انتقلت في عصر النهضة الأوربية إلى رؤية رومانسية للأدباء والشعراء والفنانين الأوربيين نحو مظاهر الحضارة والفن الإسلاميين. وأصبحت فيما بعد رؤية حضارية من طرف فلاسفة عصر الأنوار. ومع بداية القرن الواحد والعشرين تحولت إلى رؤية نمطية مضللة واستعلائية تتهم الإسلام بالتطرف والإرهاب.

ب- **سيرورة تطور الرؤية الاستشراقية للإسلام :** وكانت هذه الرؤية ذات طابع أكاديمي تستند إلى الدراسات الاستشراقية التي واكبت

الحملات الاستعمارية الإمبريالية للدول الغربية في العالم الإسلامي. لقد صورت تلك الدراسات العرب والمسلمين شعوباً متخلفة ذهنياً وغير متحضرة وخاملة، تتحكم بها عيوب فطرية تمنعها من التطور.

ج- سيرورة تطور مضامين الكتب والمقررات الدراسية في فرنسة نحو الإسلام :

لقد شملت مضامين هذه الكتب صوراً نمطية عن الإسلام والعرب، كانت في مجملها امتداداً للصورة التاريخية التراكمية السلبية للإسلام وحضارته.

- العامل الثاني:

ويرتبط بالآثار النفسية لظاهرة التخويف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) التي جاءت رد فعل للانتشار المتزايد للصحوة الإسلامية وارتفاع أعداد المسلمين في فرنسة، في وقت انهارت فيه الإيديولوجية الشيوعية، واتسع النقاش حول أطروحة صدام الحضارات، واستفحل انتشار مقولة (إن الإسلام هو العدو البديل).

- العامل الثالث:

ويتمثل في نوعية معالجة مجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور للمواضيع ذات الصلة بالشخصية المسلمة وكيفية تلك المعالجة. ذلك أن طبيعة المضامين ودرجة الاتجاهات والمواقف، ونوعية مصادر المواد الإعلامية واختيار الأجناس الصحفية ومواقع نشر المواد الإعلامية، وتوظيف الصور ورسوم الكاريكاتور، كلها عوامل أدت دوراً مهماً في بناء صورة سلبية عن الشخصية المسلمة في الإعلام الفرنسي.

إن تحليل مضمون المواد الإعلامية المنشورة بمجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور حول الإسلام والمسلمين، تتيح استنتاج ما يلي:

- التركيز المقصود على نوع معين من المواضيع التي تحيل القارئ إلى

تمثلات ذهنية، وتثير لديه مشاعر وأحاسيس ذات توجه سلبي أصلاً مثل: اندماج المسلمين في المجتمع الفرنسي، والتعصب الديني، والحجاب، والحركات الإسلامية، والأصولية والتطرف والإرهاب، والخوف من الإسلام، وأموال المسلمين في فرنسة، وصراع الحضارات، وخطر الانتشار الإسلامي في أوربة.

- ترويج صورة سلبية وسيئة ومشوهة عن الإسلام والمسلمين، مما أدى إلى اتساع فجوة سوء الفهم والتفاهم بين المجتمع الفرنسي والجاليات المسلمة، كما أن ذلك أسبغ الشرعية على مطالب التيارات السياسية اليمينية المتطرفة الداعية إلى طرد كل المسلمين والعرب من فرنسة.
- الاعتماد على مصادر يصطلح على تسميتها بـ(خبراء الإسلام) أو (المثقفون الإعلاميون)، وهي مصادر غير متخصصة في الشؤون الدينية والحضارية والتاريخية ذات الصلة بالإسلام والمسلمين. إنهم مجموعة من المحللين تتهافت عليهم القنوات التلفزية والصحف والمجلات في فرنسة؛ لأنهم يحسنون الضرب على وتر مشاعر المشاهد والقارئ وأحاسيسهما. لقد أوضح تحليل مضمون المواد الإعلامية بمجلتي الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور أن المحررين المتعاونين مع المجلتين لم يستطيعوا التخلص من ذاتية انتمائهم؛ إذ اختاروا أسلوب المواجهة مع الإسلام باستعمال أسلوب التشنيع والقدح والتحقير.
- الاعتداء على الهوية الثقافية للمسلمين من خلال نشر مضامين وصور وتمثلات سلبية تتحول إلى مادة استهلاكية مرجعية لدى الكبار والصغار في المجتمع الفرنسي.
- مساهمة الصور السلبية حول المسلمين في انتشار العنصرية وكراهية الأجانب في فرنسة، الشيء الذي يؤثر سلباً في الاندماج الاجتماعي والمهني للجاليات والأقليات المسلمة وفي المسار التربوي والتعليمي لأبنائهم.

- تجريم المسلمين وإضفاء البعد الإثني على الانحراف والإجرام، وذلك بتفسير ارتفاع الأعمال الإجرامية في المجتمع الفرنسي بأسباب ذات صلة بالهجرة وربطها بالوجود الإسلامي المتنامي في فرنسة.
- تناقض الخطاب السياسي في فرنسة في أثناء التعامل مع قضايا الإسلام والمسلمين، حيث يتعايش الخطاب المعتز بانتشار قيم العدالة وحقوق الإنسان واحترام المواطنة والتنوع الثقافي، مع سياسة الإقصاء والعنصرية في حق المسلمين في فرنسة.
- الربط بين الإسلام ديناً وحضارة وبين بعض الممارسات المتطرفة والحركات الإسلامية المتشددة، وتناول الإسلام بأبعاده العقدية والشعائرية والاجتماعية بأسلوب درامي اختصاري، وتجاهل التعريف بالقيم والمبادئ والمثل العليا السامية للدين الإسلامي، ودور الحضارة الإسلامية في النهضة الأوربية.

وختاماً، وفي ضوء خلاصات هذه الدراسة واستنتاجاتها، يمكن لنا أن نتساءل: ما هي آفاقُ صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الفرنسي ومستقبلُها في ظل التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الفرنسية التي أعلن عنها الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي أمام مؤتمر سفراء فرنسة يوم 27 آب/ أغسطس 2007م بقصر الإليزية؟

أمام هذا الأمر، كيف سيتعامل الإعلام الفرنسي مع قضايا الإسلام والمسلمين في ظروف مازالت تشهد مزيداً من التضييق العنصري على الجاليات والأقليات المسلمة في فرنسة، وخوفاً مرضياً مستفحلاً من انتشار الإسلام؟

إننا لا نستشرف ملامح مرحلة جديدة من مراحل التشويه الإعلامي للإسلام والمسلمين في فرنسة، ولكن نطرح سؤالاً نأمل أن يكون نواة لدراسات وأبحاث قادمة.

المراجع

1- المراجع باللغة العربية

1- أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، دار اللواء، الرياض، 1401.

2- أحمد أوزي، تحليل المضمون ومنهجية البحث، الشركة المغربية للطباعة النشر،الدار البيضاء 1993

3- إدوار سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، 1971.

4- أوليفيه روا، عولمة الإسلام . ترجمة لارا معلوف ، دار الساقي ، الطبعة العربية الأولى 2003

5- جاك فريمو، فرنسا والإسلام ، من نابليون إلى ميتران . ترجمة هاشم صالح ، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث ، الطبعة العربية الأولى 1991

6- جمال الدين ناجي، وسائل الإعلام والصحفيون، موجز آداب المهنة، منشورات وزارة حقوق الإنسان، المملكة المغربية.الطبعة الأولى. يناير 2004 .

7- -جو كينشلو وشيرلي شتاينبرغ، التربية الخاطئة للغرب ، كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام . ترجمة حسان بستاني.دار الساقي. الطبعة الأولى.2005

8- حامد خليل، الحوار والصدام في الثقافة العربية المعاصرة .دار النشر للثقافة . الطبعة الأولى 2001

9- حسان حتحوت وآخرون، الإسلام في أمريكا، ظاهرة الانتشار الإسلامي في الولايات المتحدة ومستقبلها بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة . الطبعة الأولى 2003

10- حسن سعيد الكرمي، الإسلام والغرب . منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- الطبعة الأولى 2004

11- حسن عزوزي، الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة، وهم الصدام وحتمية الحوار، سلسلة تصحيح صورة الإسلام، الطبعة الأولى، 2003

12- حسن عزوزي، الإسلام والغرب، قضايا ومواقف، الطبعة الثانية. 1999.
13- حسن عزوزي، الإسلام وتهمة الإرهاب ، سلسلة تصحيح صورة الإسلام، الطبعة الثانية، 2006.
14- حسن عزوزي، الغرب وسياسة التخويف من الإسلام، منشورات ألوان المغربية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2002
15- حسن نرايس، الضحك والآخر: صورة العربي في الفكاهة الفرنسية .دار إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى 1996
16- خالد محمد الأصور، الجاليات الإسلامية في أوربا: المنافذ-المشكلات، الحلول، دار الاعتصام. 1998
17- رسول محمد رسول ، الغرب والإسلام ، استدراج التعالي الغربي ، دار أسامة للنشر والتوزيع بالأردن ، الطبعة الأولى 2000
18- رسول محمد رسول ، الغرب والإسلام ، قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق .المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى 2001
19- زهير شكر محمود، المشاكل الاجتماعية والفكرية التي يعاني منها المسلمون في أوربا، بحث مقدم في أعمال الاجتماع الأول لمسؤولي المراكز الثقافية الإسلامية في أوربا، (شاتو شينون 7-9 مايو 1993)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو-، 1995
20- ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، مالطا (مركز دراسات العالم الإسلامي) 1990
21- سعيد ناشد، اليسار الفرنسي والإسلام ،قراءة تحليلية نقدية في الخطاب الفرنسي حول الإسلام.الشركة المكتبية ومطبعة فارير، الطبعة الأولى ، يناير 2007
22- سمير محمد حسين، تحليل المضمون، علم الكتب، القاهرة 1983
23- صموئيل هنتنغتون، الإسلام والغرب،آفاق الصدام ، ترجمة مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1995
24- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة د مالك عبيد أبو شهيوة، ود. محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1999
25- عباس الجراري ، الذات والآخر ، منشورات النادي الجراري . الطبعة الأولى .الرباط 1998

26- عبد الرحمن عيسوي، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1974
27- عبد العزيز بن عثمان التويجري صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو- الرباط، 2002.
28- عبد العزيز بن عثمان التويجري، آفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو، الرباط 1997
29- عبد العزيز بن عثمان التويجري، الجاليات والمؤسسات الإسلامية ودورها في إبراز صورة الإسلام، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو، الرباط 2003
30- عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، 1997
31- عبد العزيز بن عثمان التويجري، خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو، الرباط 2002
32- عبد العلي الودغيري: الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب. الرباط . سلسلة كتاب العلم 1993،
33- عبد القادر طاش، ورقة عمل تحت عنوان "صورة الإسلام في الغرب، رؤية مستقبلية لصناعة الصورة البديلة قدمها في الندوة الدولية حول "صورة العالم الإسلامي في الإعلام الغربي بين الإنصاف والإجحاف التي نظمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- في الرباط، (9-10 يناير 2002).
34- عبد الله العليان، الإسلام والغرب، ما بعد 11 سبتمبر 2001، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 2005
35- عبد الله الأشعل ، المسلمون والنظام العالمي الجديد ، سلسلة اقرأ، دار المعارف . القاهرة 1999
36- عبد الهادي بوطالب، النظم السياسية العالمية المعاصرة، دار الكتاب. الدار البيضاء، 1981
37- عبد الوهاب الرامي ، دليل الصحفي المهني :العنوان الصحفي ، أقرب الطرق إلى القارئ. الطبعة الأولى 2006
38- عبد الوهاب الرامي، الاستطلاع الصحفي، منشورات المعهد العالي للإعلام والاتصال بالمغرب ومنظمة اليونسكو .الطبعة الأولى، الرباط 2004

39- عواطف عبد الرحمن وآخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، درا الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1986
40- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، 1993.
41- فوزية العشماوي، الإسلام في المناهج الدراسية الأوربية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2004.
42- لورانس باردان: تقنيات تحليل المضمون، التحليل الصنفي، ترجمة محمد علي الكمبي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1984
43 -محمد أركون ، الإسلام ، أوربا، الغرب : رهانات المعنى وإرادات الهيمنة ، ترجمة هاشم صالح . دار الساقي ، الطبعة الثانية 2001
44- محمد أركون ، مكسيم رودنسون وآخرون ، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه . ترجمة هاشم صالح . دار الساقي ، الطبعة العربية الأولى 1994
45- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1995
46- محمد السماك، ورقة عمل بعنوان "ثقافة الحوار في الإسلام"، قدمها خلال الندوة الدولية حول الحوار بين الحضارات: التنوع في إطار التكامل التي نظمتها الإيسيسكو في فرانكفورت بالتعاون مع ولاية هسن بألمانيا الاتحادية، بتاريخ 29 -30 سبتمبر 2003م.
47- محمد بشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2004
48- محمد بن عبد العزيز الحيزان، البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، الطبعة الأولى،الرياض 1998
49- محمد حجي، الأرضية التاريخية والشرعية للوجود الإسلامي بأوربا، أعمال جامعة الصحوة الإسلامية حول الإسلام والمسلمين بأوروبا، الدار البيضاء، المغرب، 1997
50- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية (العروبة والإسلام والغرب)، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.
51- محمد عبد الحميد، تحليل المضمون في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1979

52- محمد محفوظ، الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1998

53- مصطفى الحلوجي، خطة تصحيح صورة الثقافة العربية الإسلامية في الكتب المدرسية عبر العالم، ورقة عمل مقدمة في المؤتمر الدولي (من أجل مبادرات ملموسة لتفعيل الحوار بين الحضارات الثقافية). الرباط، 14-16 يونيو 2005.

54- معهد حقوق الإنسان في جنيف التابع لهيئة الأمم المتحدة .حقوق الأقليات، صحيفة وقائع رقم 18 من منشورات ، يوليو 2005

55- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الإطار العام لبرنامج الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام والحضارة الإسلامية، وثيقة قدمت إلى المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد بالجزائر 15-17 ديسمبر 2004. وثيقة غير منشورة

56- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب. الرباط 2001

57- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات. الطبعة الثانية، 2002

58- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية في الغرب. وثيقة غير منشورة

59- المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1991

60- هشام جعيط ، أوربا والإسلام : صدام الثقافة والحداثة ،دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت. الطبعة الثانية 2001

61- يورغن نيلسن، المسلمون في أوربا، ترجمة وليد شميط، دار الساقي، الكويت، الطبعة الأولى 2005

2- المراجع باللغات الأجنبية

1- Agenda setting of the press ’S. Paul, West Publishing, 1977.

2- AL ASHMAWI Fawzia, Etude comparative des manuels scolaires d’histoire des pays des deux rives de la méditerranḝe, Publication institut Robert Schuman pour l’Europe, paris, 1996.

3- AL ASHMAWI Fawzia. l'image de l'autre dans les manuels scolaires. in international textebook Research, Unesco Newsl et ter 5, vol. 18, 1986.

4- AL ASHMAWI Fawzia. L'islam dans les manuels scolaires européens. Publication World islamic call society, tripoli, 2004.

5- BABES Leila , L'Islam positif . la religion des jeunes musulmans de France . Edition de l'Atelier.Paris 1997

6- Balta Paul, "L'islam dans le monde", Ed, le Monde-Editions, Paris 1991.

7- Berelson Bernard, content Analysis in communication Research, Glencoe, illinois: the Free Press, Publishers.

8- Bernard Lewis, le retour de l'Islam, ed gallimard, Paris, 1985.

9- Bernard Philipe, "L'immigration", Ed, le Monde-Editions, Paris, 1993.

10- BOYER Alain , L'Islam en France . collection politique d'aujourd'hui,PUF, Paris,1998.

11- Boyer Alain, "l'institut musulman de la mosquée de Paris", Ed., C.H.E.A,M Paris, 1992.

12- California. Sage publications 1980.

13- CESARI Jocelyne, Etre musulman en France aujourd'hui,Hachette,Paris,1997

14- CESARI Jocelyne,Faut-il avoir peur de l'Islam ? . Presses de Sciences politiques,Paris ;1997.

15- Christian Bouvet et Jean Michel Lambin, Histoire et géographie, classe de 4ème, Hachette, Paris, 1998.

16- DEL PUP Henri, images d'un orient européen dans les manuels d'histoire fran5ais, IUFM, Toulouse, 2002.

17- DELPUP Henri. Images d'un orient européen dans les manuels d'histoire, fran5ais,IUFM, Toulouse, 2003.

18- Donald L. Show and Maxwele Emc comb, The emergene of american political Isues, the

19- Edward Said, Orientalism, New Work, vintage books, 1978.

20- ETIENNE Bruno,L'Islam en France : Islam,Etat et Societé.Edition .CNRS ;Paris .-

21- Islamophobia: Its features and dangers, commission ou Britich muslims and islamophobia, The Runnythrust, Febrrary, 199

22- Jean-Luc Martin Lagardette, le guide de l'écriture journalistique, con5evoir, rédiger, présenter l'information", Guides S4 ROS, CAHORS, France 2000,

23- Joel Kincheloe and Shirley R. Steinberg ed, The miseducation of the west, Praeger.

24- Kaplan Abraham, Content Analysis and theory of signs, philosophy of science (1943).

25- KEPEL Gilles, A l'Ouest d'Allah ,Editions Seuil,Paris 1994

26- Krippendroff Klauss, Content Analysis: An introduction to its methodology, Berly Hills.

27- Lamand Francis, "L'islam en France", Ed, Albin Michel, Paris, 1993.,

28- Laurence Bardin, l'analyse de contenu, PUF, le psychologue, Paris 1977.

29- Michel LELONG. L'Islam et l'Occident. Edition Albin Michel . Paris 1982.

30- NASR Marlène. Les Arabes et l'islam vus par les manuels scolaires, Karthala, Paris, 2001.

31- Pierre Albert, la presse française, la documentation française, Paris 2004.

32- publishers, London, 2004.

33- Rabah Saddek, "L'islam dans l'imaginaire occidental", Ed, Al Bouraq, Paris, 1998.

34- RAMADAN Tariq , Etre musulman Européen , études des sources islamiques à la lumiére du contexte européen ,Editions Tawhid, Lyon ,1999

35- Salwa KHADDAR ZANGAR. La Presse Française et le monde arabo-musulman en 1920 , Institut National d'Archéologie et d'Art. Tunis 1982

36- Sidney Kraus And Dennis Davis, The effects of Mass Communications On Political Behavior (univestity of Park, the Pennsylvanis State university Press 1976).

37- Thomas DELTOMBE, l'islam imaginaire, la construction médiatique de l'islamophobie en France, 1975-2005, Ed, la découverte, Paris 2005.

38- Vincent Geisser, La nouvelle islamophobie , édition la découverte, Paris, 2003.

39- Yves Guillaume. La presse en France. éd. la découverte .Paris, 1999.

3- الرسائل والأطروحات الجامعية

1- Dominique Carnop. (Représentation de l'islam dans la France du 17ème siècle).

Thèes de Doctorat. Université de Lille. France 1998.

2- Abdelhamid Badawi. (L'image de l'arabe et du musulman dans la presse écrite en France : 1967-1984). Thèse de Doctorat. Université de Bordeaux. France 1985

3- Alice charbonneau-Boomfield (L'islam en France : de l'image au vécu.). Thèse de Doctorat . Institut des Etudes Supérieures Internationales en Europe France 2002.

4- Salem Nabil. (L'islam en France à travers la presse française de 1983 à 1993 : aspect politiques et religieux). Thèse de Doctorat. Université de Lille3. France 2000

5- El Ghazi Mostapha . (L'islam l'immigration dans la presse national française : 1973-1983.) Thèse de Doctorat. Université de Lille3. France 1990

6- Triki Amina (Foulard islamique à l'Université française) Thèse de Doctorat. Université de Paris 10. France 1990

7- Abadi Nahid. (Image de la femme musulmane dans les média françaises). Thèse de Doctorat. Université de Bordeaux 3. France 2001

4- مقالات ودراسات في المجلات والدوريات

1- حسن عزوزي، من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب. المجلة العربية عدد 63، يونيو 2002.

2- خالد إبراهيم بعباع، انتفاضة البؤساء"، الإسلام في فرنسا أم إسلام فرنسا؟ مقالة منشورة بجريدة الدستور الصادرة بتاريخ 7 ديسمبر 2005
3- رمضان سليم، الشخصية العربية على الشاشة، صورة خارجية مقربة، بحث منشور في مجلة التواصل في عددها الرابع حول الإسلاموفوبيا، يناير 2005.
4- سليمان قناوي، صورة العرب والمسلمين في أمريكا، مجلة المعرفة، الرياض، 2003.
5- عزي عبد الرحمن: تحليل المضمون ومسألتا الصدق والثبات: المجلة الجزائرية للاتصال، عدد 3، مارس 1989
6- فاليا الشامي، الجالية المسلمة في فرنسا: بين مطرقة العلمانية وسندان السياسات التهميشية، مقال منشور في جريدة الشرق الأوسط، عدد 9809 بتاريخ 6 أكتوبر 2005.
7- كمال الزين، ، "المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية بين الرغبة في نجاحه والتدخلات الخارجية لإفشاله". مقالة منشورة في مجلة الأوربية، عدد 35، يوليو 2003
8- مجلة الإكسبرس عدد 1743 الصادر بتاريخ 2001/1/26.
9- مجلة الإكسبرس عدد 2621 بتاريخ 27 سبتمبر 2001.
10- مجلة الإكسبرس عدد 2716 بتاريخ 2003/7/24.
11- مجلة الإكسبرس عدد 2724، الصادر بتاريخ 2003/9/18.
12- مجلة الإكسبرس عدد 2731 بتاريخ 2006/1/6.
13- مجلة الإكسبرس عدد 2741 بتاريخ 2004/1/15.
14- مجلة الإكسبرس عدد 2743 بتاريخ 2004/1/26.
15- مجلة الإكسبرس عدد 2757 بتاريخ 3 أبريل 2004.
16- مجلة الإكسبرس عدد 2789، بتاريخ 2004/12/13.
17- مجلة الإكسبرس، عدد 2627 الصادر بتاريخ 2001/11/18.
18- مجلة الإكسبرس، عدد 2665 الصادر بتاريخ 2003/11/20.
19- مجلة الإكسبرس، عدد 2635 الصادر بتاريخ 2002/8/7.
20- مجلة الإكسبرس، عدد 2670 الصادر بتاريخ 2002/9/5.
21- مجلة الإكسبرس، عدد 2681 بتاريخ 21 نوفمبر 2002/
22- مجلة الإكسبرس، عدد 2684 بتاريخ 2002/12/12.

23- مجلة الإكسبرس، عدد 2699 الصادر بتاريخ 2003/12/4.
24- مجلة الإكسبرس، عدد 2733 بتاريخ 2003/11/20.
25- مجلة الإكسبرس، عدد 2735 الصادر بتاريخ 2003/12/4.
26- مجلة الإسبرس، عدد 2758 الصادر بتاريخ 2004/5/10.
27- مجلة الإكسبرس، عدد 2781 الصادر بتاريخ 2004/10/18.
28- مجلة الإكسبرس، عدد 2783 الصادر بتاريخ 2004/11/1.
29- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 1229 بتاريخ 25 أكتوبر 2001.
30- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 1924، ص: 34 إلى 41.
31- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 1925 بتاريخ 27 سبتمبر 2001.
32- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 1926 بتاريخ 4 أكتوبر 2001.
33- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 1946 بتاريخ 27 نوفمبر 2002.
34- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 1964 بتاريخ 27 يونيو 42.
35- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 1967 بتاريخ 24 يوليو 2002.
36- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 2027 بتاريخ 11 سبتمبر 2003.
37- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 2032. ص 9.
38- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 2033 بتاريخ 23 أكتوبر 2003.
39- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 2042-2043 الصادر بتاريخ 25 ديسمبر 2003
40- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 2088 بتاريخ 11 نوفمبر 2004.
41- مجلة لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 1937 بتاريخ 20 ديسمبر 2002.
42- مصطفى الفالوجي، الإسلام في المناهج الدراسية في فرنسا، لوكورييه انترناشـيونال، يناير 2003.
43- ناتالي دول، المسلمون في فرنسا، مقالة منشورة في جريـدة (لومانـد ديبلوماتيـك) بتاريخ 2006/8/14.

44- Costa-Lascaux Jacqueline,"les lois Pasqua": une nouvelle politique de l'immigration ?", Regards sur l'actualit ,n° 199, mars 1994.

45- El HALOUGI, Moustafa. L'islam dans les manuels scolaires en France, Paris, le courrier international, N°568, 2001.

46- Etienne Bruno, "L'islam en France", revue des sciences morales et politiques 149ème année, n°3, 1994.

47- Filhol Emmanuel, "L’image stéréotypée des arabes, du moyenâge à la guerre du golf", hommes et migrations, n° 1183, janvier 1995.

48- Hochet Jacqueline, ’L’immigration dans le débat politique fran5ais 1981 à1988, pouvoirs, n°47, 1988.

49- Mestiri Ezzedine, "L’immigration, "Ed la découverte, Paris, 1990.

50- Nair Sami, "France, la crise de l’intégration", le monde, n° 15937 du 23 avril 1996.

5- مقالات ودراسات على مواقع الإنترنت

1- جـي كاركاسـون، مبـادئ الدسـتور الفـرنسي، عـن الموقـع الرسـمي للسـفارة الفرنسية بالرباط على الإنترنت:

http://www.ambafrance.org/images-francear/Institutions/constitution.htm

2- جيرار نواريال، حول الإدماج على الطريقة الفرنسية، مقالة منشـورة في موقـع جريـــدة Le monde diplomatique باللغـــة العربيـــة، (www.mo,diploar.com/jan02/artiucles/noiriel.htm).

3- حسن عزوزي، حقيقة إدماج الأقليات المسلمة في الغرب، مقالة منشورة عـلى موقع رابطة العالم الإسلامي، باب القضايا الإسـلامية، بتـاريخ 2006/08/07.( ) www.themw/.org/sujects/default.aspx

4- الحياة السياسية في فرنسا

http://Francepolitique.Free.Fr/Fviepol.htm (vie politique en France).

5- رضوة حسن، شكوك حول مجلس مسلمي فرنسا، مقالة منشورة على موقع

Islamonline.net/arabic/News2002

6- عبد العزيـز بـن سـلمة ، تآكـل الصـحافة في الغـرب : فرنسـا نموذجـاً. مقالـة منشورة في منتدى الكتاب بتاريخ 2004/3/28 على الموقع :

http://writers.alriyadh.com.sa

7- عدنان برجي، مسـتقبل المسـلمين في أوربـا، مقـال منشـور بتـاريخ 14 شـباط 2004، في شبكة الإنترنت للإعلام العربي (www.amin.org/view).

8- قيس الغزاوي، لماذا أصبحت صورة الإسلام سـلبية في الإعـلام الفـرنسي؟ مقالـة منشورة في الموقع: www.balagh.co/islam

9- مسلمو فرنسا، الصعود نحو القمة، مقال منشور على موقع الإسلام اليوم www.islamtoday.net

10- مصطفى عاشور، مجلس مسلمي فرنسا، تحليق أم تطويق؟ مقالة منشورة بتاريخ 2003/6/8 على موقع إسلام أون لاين

www.islamonline.net/arabic/daaawa/2003/araticles 02.html

11- مصطفى فرحات، أسطورة حرية الصحافة في فرنسا. مقالة منشورة في موقع شبكة فولتير www.voltairenet.org

12- موقع وزارة الخارجية الفرنسية، http://arabe.diplomatie.gouv.fr/article

13- نورة بنت عبد الله عدوان، صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي، مقال منشور في الموقع:

www.al-eman.com/muslamet

14- أحمد الراوي، نبذة تاريخية عن هجرة المسلمين إلى أوربا، مقال منشور في موقع إسلام أون لاين بتاريخ 2004/1/16.

